الجمهورية الجزائرية الديمقراطية الشعبية

وزارة التعليم العالي والبحث العلمي

جامعة أبو بكر بلقايد
UNIVERSITÉ DE TLEMCEN

كلية الآداب واللغات

قسم اللغة والأدب العربي

مذكرة مقدمة لنيل شهادة الماستر في اللغة والأدب العربي

تخصص: أدب عربي حديث و معاصر

رمز المذكرة:.....

المـــــوضـــوع:

النّزعة النّقديّة في كتابات جمعيّة العلمـــاء

" البشير الإبراهيمي أنموذجا "

إعداد الطالب (ة):
عمور إلهام

إشـــراف :
أ.د. محمد عباس

لجنة المناقشة		
أ.الدكتور	زين الدّين مختاري	رئيسا
أ.الدكتور	حياة عمارة	ممتحنا
أ.الدكتور	محمد عباس	مشرفا مقررا

العام الجامعي: 1440 - 1441هـ /2019-2020 م

شكر و تقدير

أتقدم بخالص الشكر و عظيم التقدير لأستاذي الفاضل الدكتور محمد عباس لرعايته هذا البحث بملاحظاته الثمينة و تصويباته القيمة .

فجزاه الله عني و عن العلم الذي حمل أمانته خير جزاء ، كما أتقدم بالشكر و التقدير لكافة أعضاء لجنة المناقشة على تجشمهم عناء القراءة و ابداء الملاحظات رغم الظروف الصعبة التي نمر بها حفظنا الله و إياكم .

إهداء

إلى من أحمل اسمه بإفتخار أرجو من الله أن يمد في عمرك لترى ثمارا قد حان قطفها بعد طول انتظار ، و ستبقى كلماتك نجوما اهتدي بها اليوم و الغد و إلى الأبد . . . "والدي العزيز"

إلى ملاكي في الحياة ، إلى معنى الحب و الحنان و التفاني . . .

إلى بسمة الحياة و سر الوجود ، إلى من كان دعاؤها سر نجاحي و حنانها بلسم جراحي . . . "أمي الحبيبة"

إلى من ساندني من بداية البحث إلى نهايته بأفكاره القيمة و أسلوبه المتميز . . . "أخي عبدالرحمان"

أهدي هذا البحث المتواضع إلى كل من دعمني و ساندني فيه منذ أن كان فكرة إلى أن خرج إلى النور

مقدمة

الحمد لله ربّ العالمين والصّلاة والسّلام على أشرف المرسلين وخاتم النبيّين وبعد:

فلا شكّ أن الباحث في الأدب الجزائري عموما ، وأدب جمعيّة العلماء المسلمين الجزائريّين خصوصا لا بدّ أن يقف عند أعظم رجالها أحد الرّجال الأفذاذ الّذين تفتخر بهم الجزائر وتعتزّ بهم ، زمن لا يعرف إمام اللّغة العربيّة وفارس البيان الشّيخ محمد البشير الإبراهيمي الّذي عرف في العالم العربي والإسلامي بأنّه المصلح والمربّي والفقيه والسّياسي والزّعيم الوطني الّذي أفنى عمره في مقاومة الظّلم الإستعماري فأنار دروب الضّالين وكافح الإستعمار الفرنسي بلغة الضّاد بغية الخروج من الجهل والتخلّف والجمود العقلي والنّهوض بالمجتمع الجزائري، فترك بصمات مختلفة في عدّة مجالات منها المجال الأدبي والنّقدي. هذا الأخير الّذي حاول من خلاله عرض ومعالجة أهمّ القضايا النّتقدية وتشريح المجتمعات العربيّة ، فلقد ساهم في رسم الخطوط العريضة للنّقد الجزائري حيث طرح آراءه في كلّ من مجلّة الشّهاب والبصائر والمنتقد الّتي كانت فضاء لبسط أفكاره ، محاولا بناء أرضيّة نقديّة نستطيع تسميتها بالنّقد التّمهيدي الذّي جاء كردّ اعتبار للثّقافة الجزائريّة والعربيّة .

وفي بحثنا هذا سنحاول أن نلتمس جانبا من أهمّ الجوانب الّتي خاض فيها الإبراهيمي دراسة وهي النّزعة النّقدية المتأصّلة فيه،وجاء بحثنا هذا لما لشتات الأفكار التي تنارث في مقالات الإبراهيمي سنعبر من خلاله لنرسم المنهج الذي كان يتربّصه الإبراهيمي في مساره النّقدي و اسهاماته النّقديّة . و قد حركني نحو هذا الموضوع دوافع عدّة منها ماكان ذاتيّا وتمثّل في ثأثّري الكبير بشخصيّة الإبراهيمي الذي تتلمذ على يديه جدّي –رحمه الله – و أسباب موضوعيّة و هي أنّ الإبراهيمي رجل طارت به شهرته في آفاق الإصلاح و الأدب و السّياسة ، وكانت حاجتنا إلى دراسة أفكاره القيّمة و أعماله الجليلة ، و نفض الغبار عنها و استنطاق منهجه النّقدي ; ثم حاجتنا نحن أبناء الأمّة الإسلامية في التّواصل مع أسلافنا الذين تركوا لنا موروثا علميّا غزيرا في مجالات الحياة المختلفة.

وقد تتبّعت المنهج التّكاملي حيث يربط بين المنهج التّاريخي الّذي يقوم على استرداد الماضي وما وجدناه من آثار لتراثنا العربي القديم والمنهج الفنّي الّذي اعتمدناه في جلّ البحث عالجت من خلاله

الحركة النّقدية عند الإبراهيمي ودراسته للقضايا النّقدية ، كما اعتمدنا المنهج التّحليلي في تحليل بعض مقالاته وخطبه الأدبيّة .

إنّ النّزعة النّقدية عند الإبراهيمي هي بمثابة الرّوح النّقدية والجانب التّقييمي الّذي كان يتمتّع به إماما ومصلحا وسياسيّا وملتزما بقضايا أمّته وعالما بتفاصيلها وطرق اصلاحها . إذن فإلى أيّ مدى وفّق الإبراهيمي في نزعته النّقدية ؟ وكيف يمكننا أن نوظّف منهجه النّقدي في النّهضة بالثّقافة العربيّة وتطويرها ؟

من أجل الإجابة على هذه الأسئلة قد وزّعت بحثي هذا على فصلين بدأته بمقدمة ناقشت فيها خطوات البحث والدّوافع والمنهج الّذي اتبعته في الدّراسة ثم مدخل تعرّضت فيه إلى الحياة السّياسية والإجتماعيّة والفكريّة في مرحلة جمعية العلماء المسلمين الجزائرين وكيف كانت الأوضاع السّائدة آنذاك ومدى مساهمة الجمعيّة في إصلاح هذه الأوضاع ، أمّا الفصل الأوّل فكان خاصّا بتحديد بعض المفاهيم كتعريف النّزعة النّقدية معجما واصطلاحا والتّعريف بأدب جمعيّة العلماء المسلمين وذكر بعض النماذج من كتاباتهم ومساهماتهم في الأدب الجزائري الحديث.

أمّا الفصل الثّاني من هذه الدّراسة خصّصته لمقاصد النّزعة النّقدية في أدب البشير الإبراهيمي و قسّمته إلى ثلاثة عناصر، بداية بالتّعريف بأدب بالشّيخ البشير الإبراهيمي ودوره في إثراء الحياة الأدبيّة والفكريّة ثمّ دراسة لمساره النّقدي وتوجّهاته من خلال تقديم نماذج من للقضايا النّقدية الّتي عالجها لأجعل في الأخيرنموذجا من قراءته النّقدية لشعر أحمد شوقي وأنهيت بحثي بخاتمة أجملت فيها ما توصّلت إليه من نتائج وملاحظات حول هذا الموضوع .

وقد استعنت في إنجاز هذا البحث بمجموعة من الكتب منها كتاب الشّيخ البشير الإبراهيمي " الآثار" بأجزائه الخمسة وكتاب أستاذي الدكتور محمد عباس الموسوم ب " البشير الإبراهيمي أديبا"، وكتاب الأستاذ صالح خرفي " الأدب الجزائري الحديث " وغيرها من المراجع المباشرة وغير المباشرة في الدّراسات النّقدية والأدبيّة .

وقد تعرّضت لصعوبات في إنجاز هذا البحث منها ، غلق المكتبات الجامعيّة بسبب انتشار الوباء ، وصعوبة الإلتقاء بالأستاذ المشرف من أجل التّصويب والتّصحيح ، وعدم وجود كلّ الكتب على الصّيغة الإلكترونيّة ممّا خلّف لي ضغطا نفسيّا وصعوبة في متابعة البحث .

وفي الأخير لا يسعني إلّا أن أتقدّم بالشّكر لأستاذي الكريم الدّكتور محمد عبّاس الّذي ساندني في تجاوز متاعب هذا البحث وتتبّعه بالعناية والتّوجيه والنّصح ليخرجه في مظهر يليق بأدب الإبراهيمي وسموّه ، كما أشكر أساتذتي الكرام (أعضاء لجنة المناقشة) على ما بذلوه من جهد في قراءة هذه المذكّرة وتقويمها وتقييمها كما لا يفوتني أن أشكر كلّ من ساندي من قريب أو بعيد في إنجاز هذا البحث.

الطّالبة : عمور إلهام

قسم اللّغة والأدب العربي

كليّة الآداب واللّغات

جامعة أبي بكر بلقايد تلمسان

يوم 23-08-2020

1441 هـ-2020 م

مدخل: جمعية العلماء وسط الحياة السّياسية و الاجتماعية و الفكرية

عرفت الجزائر أصعب استعمار على مرّ الأزمان الذي سعى جاهدا لمحو تاريخها و تشويه هويتها إضافة إلى إستيلاب أرضها و استباحة عرضها ، إنه استعمار متعدّد الأطراف أدرك أن السّبيل الأوحد للسّيطرة على الجزائريّين هو اثارة النّعرات العرقية و اللّغوية فيهم و زرع مشكلات ثقافية عن طريق عملاء لهم اشترى ذممهم و ضمائرهم . فمند دخوله للجزائر عام "1830" عمل على تفقير الشعب و تجويعه من جهة و محاولة القضاء على الإسلام من جهة أخرى – بإعتباره الركيزة الأساسية لهم- حتى يتسنى له القضاء على الكيان الجزائري ككلّ .

فعلى الصّعيد السّياسي بدأ الجزائريون المقاومة من خلال التّنظيم السّياسي الذي خاض هذا الميدان بأفكار متعدّدة ،فهمنهم من يرى أنّ الغاية هي المساواة مع الفرنسيين و منهم الشيوعيون و الوطنيّون المتعصّبون ، وظهرت عدة تنظيمات سياسيّة منها "حزب الجزائر الفتاة" و جمعية " نجم شمال افريقيا " بزعامة "ميصالي الحاج" الذي عرف بعد ذلك "بحزب الشعب الجزائري "

و قد جاء قانون 4 فبراير 1919 بأمر جديد و هو أنه « جعل من حقّ الجزائريّين المطالبة بالجنسيّة الفرنسيّة اذا استوفى بعض الشروط الخاصّة بالعمر و الدّراسة و الولاء لفرنسا و الخدمة العسكرية ، بالإضافة إلى شرط التنازل عن قانون الأحوال الشخصيّة الاسلامي , مع العلم أنه أضيف على هؤلاء التجّار حاملو الرخص وحاملو الشهادات العلميّة الفرنسيّة والموظفون المدنيّون وملّاك الأراضي»[1] وقد منح هذا القانون بعض الحقوق السياسيّة للأهالي في إطار المواطنة الفرنسيّة وطالب الأمير خالد من فرنسا إعطاء الجزائريّن جميع الحقوق

[1]– مازن صالح حامد مطبقاتي,"جمعية العلماء المسلمين الجزائريين ودورها في الحركة الوطنية(1931-1939) ",مؤسسة عالم الأفكار ، الجزائر ، 2011،ص32 .

وإصلاح أحوالهم الإجتماعيّة ،كما تضمنت دعوة الأمير خالد فضح حقيقة الاستعمار وأهدافه في الجزائر.

هذا النشاط الوطني كان وليد السياسة الفرنسية العدوانيّة ، حيث قامت على ضحد نخبة من أبناء الجزائر الذين قرأوا في الحضارة الفرنسية، فتقطعت أعناقهم تطلعا إليها ونادوا بالتجنيس والإدماج، فأيقن الجزائريّون أن لا ملجأ من هذا الصّراع المفتعل إلّا الاعتصام بالاسلام، ومن ثمة أصبح الاسلام هو الوطن ، وهو الموحّد للنزعات والموجه للمبادىء والجامع للخلافات ، وأخذ الإنسان الجزائري جنسيّته من الاسلام، يعده دينا وحضارة وعلما وأدبا وتشريعا [1] وهذا قد جعل « العامل السياسي يتأرجح في مستهلّ القرن بين جدلين سياسي و عسكري ، و كان في السابق مشدودا فقط إلى حبل عسكري ، وهذا التأرجح هو الذي ولّد التذبذبات المختلفة في كلّ المجالات ، فالجانب السياسي الذي أعطى لنفسه مساحة من التغاضي و إرخاء الزمام و أسلوب التردد و لو بالوعود الكاذبة ، أعطى الفرصة لانتعاش الأمل و توثب بعض الحركات ثقافيّا و سياسيّا ، برهن في مواطن على أنه أذكى من المستعمر في استغلال التفاضي و ارخاء الزمام »[2]

ولقد اشتهرت جمعية العلماء المسلمين بمواقفها السّياسية و خصوصا في قضية التجنيس و الإدماج ، حيث « رأت جمعية العلماء أن التّجنيس معارض للإسلام ، واعتبرته ردّة فنشرت فتوى بردّة المتجنّس ، و بعدها طرحت فكرة بديلة في المؤتمر الإسلامي و حرصت على ضمان المحافظة على الهويّة الجزائريّة ، ويبدو أن هذا هو سبب رفض الإدارة الفرنسية للمشروع»[3] هذا

[1]– ينظر محمد عباس ، "البشير الإبراهيمي أديبا"، ديوان المطبوعات الجامعية ،وهران ،1987،ص 10.

[2]– صالح خرفي، " الأدب الجزائري الحديث " ، الشركة الوطنية للنشر و التوزيع ، الجزائر ، ط1 ، 1984 ، ص19 .

[3]–أبو القاسم سعد الله، ،"الحركة الوطنية الجزائرية" ، دار الغرب الإسلامي ، بيروت ، ط 4 ، 1992 ، ج 3 ، ص87 ،88.

في ما يخص التجنيس ورفض الاسلام له ليما فيه من أضرار على المجتمع الجزائري.أمّا الإدماج فقد اعتبره «ابن باديس خطرا على وجود الأمّة الجزائريّة ، غير أن بعض العلماء لم يمانعوا في قبول الشقّ السّياسي من مشروع الإدماج في إطار سيادة فرنسا وقوانينها، ولأنّه لا يتناسب مع تمسّك الشعب الجزائريّ بإسلامه ووطنه فحاول ابن باديس تفادي هذا الموقف المتناقض باللّجوء إلى التميّيز بين الجنسيّة والوطنيّة، فتعنى الأوّل مجموع الخصائص الاجتماعية والثقافيّة المميّزة لمجموعة إنسانيّة معيّنة ،بينما الثانية فتعنى الشروط المدنيّة والسياسيّة الخاصّة بالمجموعة ذاتها في لحظة محدّدة من تاريخها.»[1] إذن فقد اتّخذ أعضاء جمعية العلماء المسلمين موقف الرّافض المنكر لسياسة فرنسا سواء تجنيس أو إدماج فالتنجيس اعتبروه ردّة أمّا الإدماج فهو خطر على الأمّة.

إضافة إلى هذا فقد «حاول الشعب الجزائري تجاوز مأساته ويعبّر عن آماله من خلال مظاهرات 8 ماي 1945 وما جاء من المستعمر من سياسة دامية كانت بمثابة نقطة تحول في تاريخ الجزائر الحديثة، ثم تأتي ثورة نوفمبر أدهشت العالم كما أدهشت الأدب أما الشعر فقد اتّسم في الأيّام الأولى للثورة بما يشبه الذهول فإنّ الفرق واضح بين ذهول المفاجئة أو هدوء التّوقع. »[2]

« فقد عاشت الأمّة الجزائريّة في هذه الفترة الحالية المرض جرّاء سياسة تفقير الأهالي والقضاء عليهم بالطّمع الاقتصادي المغلق بالطموح السّياسي كان وراء الاحتلال ، فالبلاد مليئة بالمغريات الماديّة، وخيراتها كانت في انتظار اليد القديرة الطمّاعة، كما أنّ موقعها الجغرافي

[1]– أحمد محساس ،"الحركة الوطنية الثورية في الجزائر من الحرب العالمية الأولى إلى الثورة المسلّحة" ، تر الحاج مسعود ، منشورات الذكرى الأربعين للإستقلال ، الجزائر ، دط ،دت ،ص 83،84 .

[2]–صالح خرفي ، المرجع السّابق ، ص29 .

أهلّها لدور تجاري كبير ،لذلك كانت موضع تعليق الخبراء والاقتصاديين عليها منذ سنة 1830 م وخصوصا الفرنسيّين»[1] وهذا يعني أن فرنسا لم يكن هدفها نشر الحضارة في الجزائر بقدر ماكان الاستيلاء على ثروات الجزائر لصالح الإدارة الفرنسيّة.

« وقد كان المجتمع الجزائري، عندما تأسّست جمعية العلماء المسلمين الجزائريّين في وضع مزر يميّزه التخلّف الشّامل في كافة مرافق الحياة، حيث كان يعاني الكثير من الآفات الاجتماعية التّي أسهم الإستدمار الفرنسي في استفحالها وانتشارها في حياة الجزائريّين، وقد سعت جمعية العلماء –في إطار عملها الإصلاحي- إلى محاربة هذه الآفات والحدّ من انتشارها.»[2]

فلقد حرّم الأهالي من مناصب الشغل وتفشّي البؤس في المدن غداة الأزمة الاقتصادية سنة 1929، فلقد كان أغلب الجزائريّين عمّالا لا ملّاكا، وبأجرة منخفضة جدّا لا تكاد تسدّ الرّمق في المقابل تفشّي الجهل في المجتمع الجزائري وضرب بجذوره في الأعماق وغاب الوعي لدى الكثير من الجزائريّين بفعل سيّاسة التّجهيل التي فرضها الاستعمار الفرنسي بالإضافة إلى الطّرق الصوفية ودورها في تفشّي الضّلال والأمور الضّالة التي شلّت عقول الجزائريّين.

«وقد اجتهدت جمعيّة العلماء المسلمين الجزائريّين في محاربة هذه الآفات و محاصرتها و عمل كلّ ما من شأنه أن يحدّ من تأثيرها في واقع المجتمع الجزائري فعلى صعيد محاربة الفقر، شجعت جمعية العلماءالجمعيّات الخيريّة الّتي تتولى رعاية الفقراء و المساكين و الأرامل و اليتامى و العجزة .»[3]

---

[1] – نور سلمان ، " الأدب الجزائري في رحاب الرفض والتحرير " ، دار العلم للملايين ، بيروت ، 2007 ،ص 31،32.

[2]– مسعود فلوسي، "البعد الاجتماعي والسيّاسي في التجربة الإصلاحيّة لجمعية العلماء المسلمين الجزائريّين "،المكتبة الشاملة، م2 ع 11 ، جامعة باتنة، 18 ماي 2014 ، ص5 .

[3]– المرجع نفسه، ص7

أمّا في ما يخص الجهل و محاربته فقد عملت الجمعية على «محاصرة ثأتيراته حيث أسست المدارس و شجّعت التّعليم و عملت على توفيره لأبناء الجزائر في حدود ما كان لها من إمكانيات، و شجّعت أكثر تعليم الفتيات و تثقيفهن باعتبار الأم أساس الأسرة التي اذا صلحت صلح المجتمع كله و اذا فسدت فسد المجتمع كلّه.»[1] اذن فقد عملت جمعيّة العلماء على الحدّ من انتشار الجهل و اللاّوعي و البدع و الخرافات بين المجتمع الجزائري و تحرير العقول من الأوهام بإنشاء المدارس و الزوايا و تشجيع أبناء المجتمع خاصة الفتاة بإعتبار أنها مدرسة و في هذا الصّدد يقول حافظ ابراهيم :

« الأُمُّ مَدْرَسَةٌ إِذَا أَعْدَدْتَهَا .. أَعْدَدْتَ شَعْباً طَيِّبَ الأَعْرَاقِ»

أمّا في الجانب الفكري، فإنّ ما تمثله الثقافة للمجتمع الجزائري من مقوّمات «تتميز بها المجموعات البشريّة الواحدة، و منها اللّغة و الثرات و القيم و العادات و التقاليد و غيرها، وقد تعني بالإضافة إلى ذلك الاعتزاز بتلك المقوّمات و الاستعداد المطلق لحمايتها، والدفاع عنها و الاستمساك بها . »[2]

فالوضع الثقافيّ لا ينفصل عن الوضع السّياسي و الاجتماعي،« إنّما يتفاعل معهما و يرتبط بهما فكما تتأثّر الحياة السّساسية بآراء المثقفين و أفكارهم عن الأوضاع و المشاكل الاجتماعية فإنّ السّياسة تؤثر في الحياة الثقافيّة و تهيؤ الأوضاع المؤذية إلى ازدهارها و نموّها أو تطّهدها و تدفعها إلى الجمود و الضعف» [3] ، ولما كان الاستعمار الفرنسيّ يضرب العنصر الثقافي في هدفه التخربي عمل على طمس معالم الهوية الوطنية و خاصّة اللغة العربية التي كانت سلاح الجزائريين في الحفاظ على هويّتهم، إذ بدأ الاستعمار الحرب ضدّ اللغة العربية الفصحى و معاهدها و رموزها و رجالاتها لكي

[1]- المرجع نفسه، ص12

[2]- حسن عبد الرحمان سلوادي، "عبدا لحميد بن باديس مفسرا "، المؤسسة الوطنية للكتاب ، الجزائر ،ط1، 1984 ،ص27،28

[3]-أحمد شرفي الرفاعي، "الشعر الوطني الجزائري من 1925-1954"، دار الهدى ، الجزائر ، د.ط ،2010 ، ص33

يتمكّن من تقطيع أوصال هذه الأمّة و تجزئتها و عزلها عن دينها الإسلاميّ، وذلك بعزلها عن كتابها و مرشدها القرآن العربي المبين .[1]

فإغلاق المدارس و اعتقال المعلّمين و اتهامهم بالعمل ضدّ السّلطات الفرنسيّة حيث أدركوا أنّ انتشار اللغة العربية يشكّل خطرا على الوجود الفرنسي في الجزائر، ويقضي على مخطّطاته الهادفة إلى فرنسة الجزائريّين و القضاء على أصالتهم و اذا عملت على محاربة اللغة العربية بشتّى الوسائل و مختلف الأساليب للحدّ من تعلّمها و انتشارها [2]

هذا يعني أنّ فرنسا لم يكن هدفها القضاء على التّعليم بالنسبة للجزائريين في مختلف مراحله من نظام و لغة و منهج فحسب، لكن شملت كلّ المجالات الاجتماعية و الثقافية و الإدارية في ظلّ هذه الظّروف العصيبة كان لزاما على الأمّة أن تتحرك و تنهض فقد عملت جمعية العلماء المسلمين للحفاظ على اللغة العربية ومحاربة البدع فقد صدر في القانون الدّاخلي للجمعية في المادة التاسعة والستّين «فالواجب إذن ان نبدأ بمحاربة تلك البدع و الخرافات بطرق حكيمة تقرب من أذواق النّاس، فإذا ماتت البدع و الخرافات وصفت الفِطر من ذلك الشوب سَهُل تلقين العقيدة الصّحيحة وتلقّتها النفوس بالقبول»[3] . في خضّم كلّ هذا فقد اصطدم الإحتلال برجال جمعية العلماء المسلمين الّذين رفضوا كل القرارات الفرنسيّة بخصوص التّعليم وإبداله بقانون جديد يخدم الجمعيّة والمجتمع باعتبار التّعليم وسيلة والتثقيف يقول الإبراهيمي واصفا الظّلم الّذي لحق بلغة الجزائريّين : « ومن أسوأ

[1]-ينظر، أحمد بن النعمان، "اللغة العربية أسئلة التطور الذاتي و المستقبل"، مركز دراسات الوحدة العربية، لبنان، 2005 ، ص29 .

[2]-ينظر ، بسّام العسلي، "عبد الحميد بن باديس و بناء قاعدة الثورة الجزائرية "، دار النفائس، بيروت ، ط2، 1986 ، ص49، 50 .

[3]-محمد البشير الإبراهيمي، "آثار الإمام البشير الإبراهيمي 1929-1940 "، ج ت أحمد طالب الإبراهيمي ، دار الغرب الإسلامي، 1997 بيروت، ، ج1 ،ص86.

ما في تلك القرارات شرّا وأشدّه إيلاما جرحا لعواطف المسلمين عامّة وللعرب خاصّة ما جاء في بعض بنود تلك القرارات من اعتماد اللّغة العربيّة لغة أجنبيّة في بلاد عربيّة هي الجزائر، وجاء دور تنفيذها على يد صغار الإداريّين فبالغوا وأسرفوا في التّنكيل والمحاكة وسيق معلّمو العربيّة إلى مجالس القضاء كما يساق المجرمون، وفرضت عليهم العقوبات الماليّة والبدنيّة من سجون وتغريب، ومازالت بقاياهم في المنفى إلى الآن.»[1]

وبهذا فقد لعبت جمعية العلماء المسلمين الدّور الرّيادي لتخليص الاسلام واللّغة من الشّوائب من خلال الارتقاء بالفكر إلى مستوى الحضارة، فقد حاربوا البدع والطّرق الصّوفية الّتي حاولت نشر الأباطيل في المجتمع الجزائري ومحو الدّين الاسلامي. وبهذا «فقد اتّخذ علماء الجمعيّة من التّعليم والتّربية سياسة الإصلاح الثقافي والاجتماعي والسّياسي فأهداف التّربية عندهم تشمل ذلك كلّه، ومن اهدافها كما الحياة الفرديّة والجماعيّة، فهو إذن هدف مزدوج فردي جماعي.»[2]

ويروي البشير الإبراهيمي عن رفيقه ابن باديس ومنهجيّته في التّربية حيث قال : « وكان من طريقه في التّربية أن يرمي إلى تصحيح الفكر وصقل العقل وترقية الرّوح وتقوية الخلق وتسديد الإتّجاه في الحياة، وأنّه يستخرج من قواعد العلوم التّعليميّة قواعد للاجتماع وينتزع منها دروسا للتّربية والأخلاق ضمن القواعد الاصطلاحية المعروفة .»[3]

إذن فقد لعبت جمعية العلماء المسلمين الجزائريّين دورا كبيرا في الحركة الوطنيّة الجزائريّة وخاصّة في الجانب السّياسي والثّقافي، وذلك من خلال مشاركتها في المؤتمر الإسلامي والنّشاط في الحرب العالميّة الثانية، وكذلك دعمها للثّورة التّحريرية منذ بدايتها، وأمّا الجانب الثّقافي من خلال نشر الوعي الدّيني

---

[1]– محمد البشير الإبراهيمي ، المصدرنفسه ، ج2 ،ص 143 .

[2]– " الخطاب النقدي الثقافي لجمعيّة العلماء المسلمين الجزائريّين "، إعداد محمد ديدان ، إشراف خالد عيقون ، جامعة مولود معمري ، تيزي وزو كلية الآداب واللّغات ، 2015 ، ص 91 .

[3]– محمد البشير الإبراهيمي ، الآثار ، ج1 ، مصدر سابق ، ص 139 .

بواسطة التّربية والتّعليم الحرّ، وكذا تحرير فكر الشّعب الجزائري من خلال مجهودات البشير الإبراهيمي وزملائه وكذلك من خلال صحف الجمعيّة كالبصائر والشّهاب والمنتقد وغيرهم.

الفصل الأوّل: ضبط المفاهيم

-تعريف النزعة لغة واصطلاحا

-تعريف النقدية لغة واصطلاحا

-أدب جمعية العلماء المسلمين

لقد شهد العالم العربي و الإسلامي في القرن التّاسع عسر و مطلع القرن العشرين ظهور حركات اصلاحيّة بدأت بأفكار ثم دعوات ثم مشاريع كان سبيلها الإصلاح و النّهضة و التّجديد للأمّة العربيّة و الإسلاميّة في عدّة مجالات في الحياة، وقد مثّل هده الحركات الإصلاحيّة روّاد تعدّدت جهودهم بتعدّد مشاريعهم الإصلاحيّة التي مسّت عدّة مناحي و عالجت مختلف القضايا منها دينية و سياسيّة و اجتماعيّة منها جمعيّة العلماء المسلمين، هذه الأخيرة جاءت كردّة فعل لتلك المرحلة التّاريخية من عمر الجزائري الذي كان يتخبّط في دوّامة سيطرة العدوان الفرنسي و التي حاربت الاستعمار و عملت على ضحده بشتّى الطّرق، و لم يتوقف عند حدود القضايا الوطنيّة و العربيّة و المقاومة بالسّلاح بل تعدّت ذلك إلى تقويم المجتمع و اللّغة و الشّعر ، ونبذ العاميّة من خلال المقالات و الصّحف التي كانت تنشرها أسبوعيّا، و من خلال نزعاتهم المختلفة (النّزعة الفنّية و الانسانية و النّقديّة و غيرها) و سنتطرّق في هذا الفصل إلى تحديد بعض المفاهيم كمفهوم النّزعة و مفهوم النّقديّة ، والتّعريف بأدب جمعيّة العلماء.

أوّلا : تعريف النّزعة لغة و اصطلاحا :

لغويا أو معجميا تعني كلمة نزع : نزع الشيء من مكانه :قلعه و العامّة نقول "نزع الشيء " إذا عطّله و أفسده . وتنزّع إليه: تسرّع، فتنازع القوم: اختلفوا، و نازع نزاعا: المريض أشرف على الموت .

نزعة و نَزَّعَ و نزّاع : مفردها نازعة و الجمع نوازع فنازعات بمعنى الغريب[1]

ونزع المريض نزعا : أشرف على الموت . والشّمس دنت من الغروب، وإلى أهله نزوعا أي حنّ واشتاق، وعن الأمر كفّ وانتهن ويقال نزعه ك عرق أي أشبه أصله. كماكما يقال نزع إلى عرق كريم، ويقال نزع الأمير : عامله من عمله : عزله[2] وفي التّنزيل قوله تعالى : ﴿ وَنَزَعنا ما في صُدورِهِم

[1]–لويس معلوف، "المنجّد في اللّغة" ، دار الناشر المطبعة الكاثوليكية ،م1 ،ط19 ، ، بيروت ، 1908، ص801.

[2] إبراهيم أحمد الزيّات ،" معجم الوسيط " ، دار ومكتبة الشروق الدوليّة ، القاهرة ،ط3 ، 2011 ، ص 914 .

مِن غِلٍّ إِخوانًا عَلى سُرُرٍ مُتَقابِلينَ ﴿٤٧﴾ ﴾ سورة الحجر [47] أي يدخل أهل الجنة الجنة على ما في صدورهم في الدنيا من الشحناء والضغائن ، حتى إذا توافوا وتقابلوا نزع الله ما في صدورهم في الدنيا من غل وتعني أيضا اذهبنا الأحقاد الّتي كانت لبعضهم على بعض في الدّنيا.

ونزع الشّيء من مكانه، قلعه من باب ضرب، وقولهم فلان في النّزع أي قلع الحياة. ونزع إلى أهله، ينزِع بالكسر نزاعا، ونزع عن كذا انتهى عنه وبابه جلس.

ورجل أنزع بين النّزع بفتحتين هو الذّي انحسر الشعر عن جانبي جبهته وهو موضعه (النّزعة) بفتح الزّاي وهما النّزعتان، ونازعه منازعة جاذبه في الخصومة وبينهم نزاعة، أي خصومة في الحقّ ومعناها التّخاصم.[1]

و نزعه من مكانه ينزعه : قلعه، كانتزعه و يده أخرجها من جيبه و إلى أهله نزاعة و نزاعا، بالكبير و نزوعا بالضمّ، اشتاق كنازع و عن الأمور نزوعا : انتهى عنها، ويقال : عاد السّهم إلى النّزعة ، رجع الحقّ إلى أهله و منه قوله تعالى : ﴿وَالنَّازِعَاتِ غَرْقًا ﴿١﴾ وَالنَّاشِطَاتِ نَشْطًا ﴿٢﴾ ﴾ سورة النازعات [1-2][2]

و قال ابن دُرَيْد : لا أقدم على تفسيره ، إلأ أنّ أبا عبيدة ذكر أنها (النّجوم) تنزع من مكان إلى مكان ، وتنشط أي تطلع

و يقال نزع في القوس ينزع نزعًا : مدّها ،كما في الصّحاح أي : بالوتر و قيل : جذب الوتر بالسّهم و في الحديث : "لن تخور قوى مادام صاحبها ينزع و ينزو " أي : يجذب قومه ، ويثب على فرسه

[1] الرّازي،محمد بن أبي بكر، " مختار الصّحاح" ، دائرة المعاجم ، لبنان ، 1907 ، ص 283 .

[2]-الفيروز آبادي، "قاموس المحيط"، دار الحديث، القاهرة ، ط4 ، 2008 ، ص 1600 .

و من المجاز : بعير نازع ، وناقة نازع ، حنّت إلى أوطانها و مرعاها : قاله الجواهريّ وأنشد لجميل قائلا :

فقلتُ لَهُمْ لا تَعْذِلُونِيَ وانْظُرُوا إلى النازِعِ المقْصُورِ كيفَ يكون[1]

و في المثل (صار الأمر إلى النّزعة) محرّكة ، أي قام باصلاحه أهل الأناة، و هو جمع نازع كما في الصّحاح، وهم الرّماة ، والنّزاعة كثامة ، ما انتزعته بيدك ، ثم ألقيته.[2]

فالنّزعة في اللّغة عموما : هي انحسار الشّعر عن جانبي الجبهة ، كما تعني الطّريق في الجبل وهناك عدّة نزعات ، نزعة إقليميّة كلاسيكيه ، نقديّة ونزعة قتال ، و الجمع نَزَعَات ، و نَزْعَاتٌ

أمّا في التّعريف الاصطلاحي فله علاقة مباشر بالفلسفة حيث نجد " فصل سالم العيسى" يتبيّنها حيث قال « وتؤخذ كلمة نزعة في المصطلحات الفلسفيّة العربيّة الرّاهنة للدّلالة على المنحى الفكري تؤخذ بشكل عام مع كلمات متجاورة متقاربة هي : نسق ، نظام فلسفي ، مذهب ، نظريّة تيّار حركة ، إلاّ أنّ النّزعة ليست نسقا عقلانيّا ، و لا نظاما محكما ممنهجا ، و لا مذهب متكاملا و هي اللّاحقة الإنجليزية ISMمقابلة »[3]

إذن فالنّزعة هي إتّجاه فلسفي أكثر منه أدبي ، و هذا لما احتلّت في الدّراسات و المذاهب الفلسفيّة أكثر منه في الدّراسات الأدبيّة و النّقديّة .

---

[1]–أبو فارس أحمد بن فارس بن زكرياء، "معجم مقاييس اللّغة" ، ت ح.عبدالسلام هارون، دار الفكر ، بيروت ،1979 ، ج5 ،ص415 .

[2]–الزبيدي ، محمد مرتضى بن محمد الحسيني ،"تاج العروس من جواهر القاموس" ، دار الكتب العلمية ،بيروت، 1984 ،ج11 ،ص126.

[3]–فصل سالم العيسى، "النزعة الإنسانية في شعر الرّابطة العلميّة" ، دار البارود في النشر والتوزيع ،الأردن ، ط عربية،ص65.

–ثانيا : تعريف النقديّة لغة واصطلاحا :

في المقاربة اللّغوية لكلمة نقد : بمعنى تمييز صحيح الدّراهم وإخراج الزّيف منها، كالنقّاد ولتنقد، وقد نقدها ينقدها نقدا، وانتقدها، وتنقدها بمعنى ميّز جيّدها من رديئها، حيث انشد سبويه للفرزدق –في وصف النّاقة– قائلا :

تَنْفِي يَدَاهَا الحَصَى فِي كُلِّ هَاجِرَة نَفْيَ الدَّنَانِيرِ تَنْقَادُ الصَّيارِيفُ .[1]

نقد : نقده الدّراهم ونقد له الدّراهم أي أعطاه إيّاها فانتقدها أي : قبضها، ونقد الدّراهم وانتقدها أي أخرج منها الزّيف وبابها نَصَرَ، ودرهم نقد أي وازن ومعناه ناقشه في الأمر.[2]

إذن فالنقد يعني التميّيز بين الصّواب والخطأ وبين الصّحيح والزّيف، وبين الجميل والقبيح، وكذلك التّمييز بين الدّراهم وإخراج الزّيف منها.

النّون والقاف والدّال: اصل صحيح يدلّ على إبراز شيء وبروزه، ومن ذلك النّقد في الحافر وهو تقشّره، والنّقد في الضّرس تكسّره، وذلك يكون بتكشّفه ليطلّ عنه، ومن الباب نقد الدّراهم، وذلك أن يكشف عن حاله في جودته أو غير ذلك ودرهم نقد وازن جيّد، كأنّه قد كشف عن حاله فعلم.[3]

وقد تطوّر مصطلح النقد عند العرب خلال القرن الثّاني الهجري، وذلك حين ارتبط بالتّعليل والتّفسير من طرف رواة الأشعار، واستمر المصطلح في التطور خلال القرن الثالث الهجري بظهور مؤلّفات نقديّة ساهمت في تعميق معنى النّقد،

---

[1]– ابن منظور، جمال الدّين محمد بن مكرم ، " لسان العرب " ، دار إحياء التراث العربي، بيروت ، ط1 ، 1999 ، ج7 ، ص 35.

[2]– الرّازي محمد بن ابي بكر، " مختار الصّحاح " ، مصدر سايق ،ص281 .

[3]–ابن فارس ، "مقاييس اللّغة"، مصدر سابق ، ص 577 .

أمّا في القرن الرّابع الهجري فقد تعمّق هذا المفهوم أكثر ليصطلح عليه أنّه تمييز وتفسير وإعلاء للنّص على حسب قيمته الفنيّة .[1]

أمّا في الدّراسات الغربيّة فكلمة نقد في اللّغة الإنجليزيّة يقابلها(Criticsm)

(و في الفرنسية critique)، المشتقّة من الفعل اللّاتينيّ (Kninem) بعنى "يفضّل"

أو "يميّز" .[2]

وهذا بمعنى حين يميّز الشيء عن الشّيء الآخر يؤكّد وجود شيء يمكن تصنيفه مع نظيرة من الأشياء الّتي لها صفات متشابهة معه بدرجة قليلة أو كثيرة .

والنّقد عموما هو بيان أوجه الحسن وأوجه القبح في شيء من الأشياء بعد فحصه ودراسته، وهو بمعنى التّعبير المكتوب أو المنطوق من متخصّص يسمّى النّاقد عن سلبيّات أو إيجابيات أفعال أو إبداعات أو قرارات يتّخدها الإنسان أو مجموعة من البشر في مختلف المجالات.

هذه أهم المعاني اللّغوية لكلمة نقد والّتي تبدو غامضة فهي تستخدم تارة بمعنى معرفة الأثر والحكم عليه أو فهمه وطورا آخر بمعنى تفسيره وتحليله.

أمّا اصطلاحا فلم تكتسب الكلمة معناها الفنّي إلا في أواخر القرن الثالث وبداية القرن الرّابع خصوصا عند قدامة بن جعفر(ت337) – في كتابه نقد الشّعر– الذي حاول تحديد مفهوم النّقد في مقدّمة الكتاب يقول :« ولم أجد أحدا وضع في نقد الشّعر وتخليص جيّده من رديئه كتابا، وكان الكلام عندي في هذا القسم أولى بالشّعر من سائر الأقسام.»[3]

[1]– ينظر، رجاء العيد، "المصطلح في التراث النّقدي" ، منشاة التّعارف ، الإسكندريّة ، د ط ، 2000 ، ص 29 .

[2]–سمير سعد حجازي، "النقد الأدبي المعاصر قضاياه و اتجاهاته "، دار الآفاق العربية ، القاهرة ، ط1 ، 2001 ،ص25

[3]– قدامة بن جعفر،" نقد الشّعر" ،مطبعة الجوائب ، قسطنطينية ، ط1 ،1302، ص02 .

والنّقد هو تقدير النّص الأدبي تقديرا صحيحا وبيان قيمته ودرجته الأدبيّة،

يقول عبد الملك مرتاض : « إنّ النّقد في أكثر مظاهره الجديّة لا يمكن أن يظلّ إلاّ ماهو عليه، أي تقديم تعليق على عمل أدبي، ولكن بحساسة مرهفة تسعى إلى إبراز الأسرار الجماليّة والحقائق التّي يحملها النصّ الأدبي للقرّاء المفتقرين إلى من ينير لهم السّبيل ويسلك لهم الطّريق.»[1]

والنّقد هو تقدير القيمة الفنيّة للعمل الأدبي بعد الدّراسة والتّحليل، وإذا كانت من قبل تستخدم للدّلالة على الملكة الّتي يستطيعون بها معرفة الجيّد من الرّديء من النّصوص الأدبيّة وما يترتّب على ذلك من معرفة بالأحكام والآراء.

« والنّقد في حقيقته تعبير عن موقف كلّي متكامل في النّظرة إلى الفنّ عامّة أو إلى الشّعر خاصّة، يبدأ بالتذوّق أي : القدرة على التّمييز، ويعبر منها إلى التّفسير والتّعليل والتّحليل والتّقييم، خطوات لا تغني إحداها عن الأخرى وهي متدرجة على هذا النّسق كي يتّخذ الموقف نهجا واضحا مؤصّلا على قواعد جزئيّة أو عامة مؤيّدا بقوّة الملكة بعد قوّة التّمييز. »[2]

فلقد تعدّدت تعريفات النّقد عند كثير من النقّاد غير أنّها تصبّ في معنى واحد وهو الكشف عن مواطن القبح والجمال في الأدب فهو « استعراض القطع الأدبية لمعرفة محاسنها ومساوئها ثمّ قصرت على العين لما كانت من مستلزمات فحص الصّفات ونقد عيبها .»[3]

إذن فالنّقد لا يخرج عن أمرين : التّقويم والتّحليل، والتّقويم يكون باظهار ما في العمل الأدبي من جمال وما وراء العبارات من إيحاء ومدى قدرتها على تصوير مشاعر الأديب، وأخيرا وضع العمل الأدبي في المكانة الفنيّة الّتي يستحقّها والحكم عليه بالجودة أو الرّداءة.

---

[1]– عبد الملك مرتاض ، " في نظرية النّقد" ، دار هومة للطّباعة والنّشر ، الجزائر ، 2002 ، ص 30 .

[2]– إحسان عبّاس ، " تاريخ النّقد الأدبي عند العرب " ، دار الثّقافة ، بيروت ، ط4 ،1983 ،ص05 .

[3]– أحمد أمين، "النّقد الأدبي" ، مكتبة النّهضة المصريّة ، القاهرة ، ط3 ، 1952 ، ص 01 .

إذن فالنّزعة النّقديّة عموما ليس المقصود بها ذلك المفهوم الّذي تناوله الفلاسفة في تعريفاتهم حين يتعرّضون للمدرسة النّقديّة، وإنّما هو تلك الرّوح النّقديّة والحسّ النّقدي والجانب التّصحيحي الذّي يتمتّع به الكاتب أو النّاقد أو العالم أو حتّى المصلح، الذّي يكون عارفا بقضايا المجتمعات وسبل إصلاحها.

ثالثا : أدب جمعية العلماء المسلمين :

جمعيّة العلماء المسلمين الجزائريّين هي جمعيّة إسلامية جزائريّة ، أسّسها مجموعة من العلماء الجزائريّين خلال النصف الأول من القرن العشرين في سنة 1931 [*] ، وقد سطّرت أهدافا لها و هي إحياء الشعب الجزائري و النهوض به و إصلاح مجتمعه ، حيث جاء في جريدة البصائر : «إن جمعيّة العلماء المسلمين الجزائريّين جمعيّة إسلاميّة في سيرها و أعمالها ، جزائريّة في مدارها ، وأوضاعها علميّة في مبدئها و غايتها ، أسّست لغرض شريف ، تستدعيه ضرورة هذا الوطن ، وطبيعة أهله ، ويستلزمه تاريخهم الممتدّ في القدم إلى قرون و أجيال و هذا الغرض هو تعليم الدين و لغة العرب ، الّتي هي لسانه المعبّر عن حقائقه للكبار في المساجد التّي هي بيوت الله ، و للصّغار في المدارس و على وقف أنظمة لا تصادم قانونا جاريا ، و لا تزاحم نظاما رسميّا ، ولا تضرّ مصلحة أحد ، ولا شيء إلى سمعته فجميع أعمالها دائرة على الدّين ، و الدّين عقيدة ، اتّفقت جميع أمم الحضارة على حمايتها و على التّعليم و التّعليم مهنة ، اتّفقت جميع قوانين الحضارة على احترامها و إكبار أهلها. »[1] وتعدّ جمعيّة العلماء « جمعيّة دينيّة علميّة عملت للعروبة والإسلام ثلاثين سنة أعمالا عظيمة جليلة فأحيت العربيّة في الجزائر على صورة قلّ أن يوجد لها نظير في الأقطار العربيّة وأحيت

[*] تأسّست جمعية العلماء المسلمين الجزائريّين يوم 5 مايو 1931 في نادي الترقي بالعاصمة الجزائريّة على يد الشيخ العلاّمة عبدالحميد بن باديس .

[1]– جريدة البصائر ، عدد 160 ،سل01 ، 07 أفريل 1939 ، ص 15 .

الإسلام الصّحيح بإحياء علومه فأنقدت بذلك أمّة تعدّ أحد عشر مليونا من الكفر والإنعجام بعدما عملت فرنسا سنة كاملة لمحو العربيّة وطمس الإسلام.»[1]

وجمعيّة العلماء المسلمين كانت تعبّر عن اصلاحها للمجتمع من خلال أدب خاص بها حيث استطاعت أن ترسم حيثياته، تاركة في كلّ مرحلة أدبيّة بصمات فنيّة وموضوعيّة، جاعلة لكلّ مرحلة ميزة خاصّة بها. فظهور الجمعيّة أعطى للأدب لونا خاصّا ميّزه عن أدب المراحل الأخرى، فقد سلك روّاد الجمعيّة طريقا غير طريق السّلاح في الدّفاع عن الجزائر ومقوّماتها، وقد تنبّعت جمعيّة العلماء إلى الدّور الهّام الّذي تؤديّه الصّحافة والإعلام في الدّعوة والإصلاح وتقديم النّصح للمجتمع الجزائري وإيصال صوتها إلى جمهور عريض من النّاس وقد تأثّرت في ذلك بالحركة الفكريّة في المشرق والّتي كان لها صحفها الخاصّة، علما أنّ بعض العلماء المؤسّسين أنشئوا صحفا ومجلّات قبل نشأة الجمعيّة بسنوات.

فمع نهاية القرن التّاسع عشر وبداية العشرينات، «ظهرت عدّة جمعيات ونواد أيضا في العاصمة وغيرها، وتوسّع ذلك مع نشاط الحركة الاصلاحيّة وظهور الأحزاب السّياسيّة وجمعيّة النوّاب، وقد رافق ذلك نوع من التّسامح من الإدارة الفرنسيّة لإنشاء مثل هذه الخلايا الإجتماعيّة مادامت تحت رقابتها الشّديدة، ومن أبرز الجمعيّات والنوّوادي بالعاصمة جمعيّة الشّبيبة الإسلاميّة ونادي التّرقي، نقطة إلتقاء المثقّفين حيث « *ونادي السّعادة في تلمسان وفي قسنطينة أيضا.»[2] ويعدّ نادي التّرقي كان نادي التّرقي مجتمعا لابن باديس وصحابه من أعضاء جمعيّة العلماء المسلمين، يؤمونه كلّ حين

[1]– محمد البشير الإبراهيمي ، " الآثار" ، ج 4 ، مصدر سابق ، ص 254 .

[2]– أبو القاسم سعد الله ، " تاريخ الجزائر الثّقافي(1830–1954) ، دار الغرب الإسلامي ، بيروت ، ط2 ، م3 ،ج5 ، ص 315 .

*نادي الترقي ، تأسس سنة 1927على شرفة واسعة ضخمة مطلّة على ساحة الحكومة وسط العاصمة وهو ماسمح للنّادي باستقطاب قطاع ضخم من النّاس .

والسّياسة والمجتمع فيسمعون فيه إلى المحاضرين الّذين لم يكونوا إلّا منهم، ويتحاورون في قضايا الأدب والدّين.»[1] فنتج عن هذا أدب خاصّ بالجمعيّة تعبّر من خلاله عن ما آلت إليه أوضاع الجزائر، و الأدب هو لون من ألوان النّثر وهو نتاج فكري يشكّل في مجموعه الحضارة الفكريّة و اللّغويّة لأمّة من الأمم و هو انعكاس لثقافتها و مجتمعها.

و إنّ أدب جمعيّة العلماء هو أدب عميق الرؤية واسع البحث يبحث في ذات الإنسان مستمدّا توجهاته من جوهر العقيدة الصّحيحة و هدي السّنة النبويّة الشّريفة فكان بذلك أدبا أصيلا غير مبتور الوشائح و الصّلات، يأخد من النبع الإسلامي و يعبّر عن حال الأمّة بغية التّعديل و النهضة الفكرية، فقد ساهمت كل من صحيفة المنتقد و الشّهاب و البصائر في إذكاء النّشاط الفكريّ و الأدبي في الجزائر حيث «برزت جريدة المنتقد* تحمل هذا ، و تلفت الجزائريّين المسلمين إلى حقيقة صفتهم بين الأمم بأنهم أمّة لها قوميّتها و لغتها و دينها و تاريخها. فهي لذلك أمّة تامّة الأهميّة ، لا ينقصها شيء من مقوّمات الأمم.»[2]

و قد كان الهدف من الجريدة بعث الأمّة الجزائريّة و تذكيرها بما فيها الأصيل و دينها الإسلامي الحنيف و لغتها السّاحرة بالإضافة إلى «أنّ ابن باديس كان يريد نقد الأوضاع الرّاهنة في البلاد، فيما يفهم من لفظ "المنتقد" نفسه فاسم الجريدة إذن مقصود كل القصد ، فلا ينبغي أن نصرفه صرفا اتفاقيّا عفويّا.»[3] بالإضافة إلى هذا نجد جريدة الشهاب و هي من أشهر المجلات في المغرب العربي في

---

[1]–عبدالمالك مرتاض ، "نهضة الأدب العربي المعاصر في الجزائر (1925–1954) ، الشركة الوطنية للنشر و التوزيع ، الجزائر ، ط2 ،1983 ، ص40

*جريدة المنتقد صدرت سنة 1925، من تأسيس الشيخ عبدالحميد بن باديس .

[2]– المرجع السّبق ، ص 98 .

[3]–المرجع نفسه ص99.

النّصف الأوّل من القرن التّاسع عشر. فكانت الشهاب مجلّة أسبوعيّة أوّل الأمر ، ثم لم تلبث أن أصبحت شهرية، وكانت ملكا لابن باديس ومفخرة من مفاخره. [1]

« وأصبحت الصّحافة بعد قرار 1933 أخطر من الدّروس والمحاضرات، الأمر الّذي دفع بالسّلطات الاستعمارية إلى استخدام كل الوسائل من أجل إيقافها.»[2] وبعد جهود كبيرة قامت بها الجمعيّة من أجل الحصول على رخصة من الحكومة الفرنسيّة باصدار جريدة البصائر في 27 سبتمبر 1935 وقد استمرّت مدّة. « وتعدّ البصائر* الجريدة الرّابعة الّتي أصدرتها جمعيّة العلماء، كما تعتبر من أهمّ وأبرز الصّحف العربيّة الجزائريّة شهرة وانتشارا وهذا لما تركته من آثار في الحياة الوطنيّة من شتّى جميع نواحيها. »[3] ، فقد جاءت البصائر في أسلوب منطقي جديد لا عهد للاستعمار به، معالجة قضايا دينيّة وطنيّة وثقافيّة في مقدّمتها فصل الدّين عن الدّولة وقضيّة التّعليم الحرّ، بالإضافة إلى جهود الجمعيّة في الصّحافة من خلال نشرها للصّحف والمجلّات الّتي كانت لسان حال الجمعيّة في نشر أفكارها والدّفاع عن العروبة والإسلام، قد أثرت الأدب الجزائري بجمال الصّورة وقوّة التّعبير وعذوبة الألفاظ، أيضا عمدت الجمعيّة على التّربية والتّعليم بعدما قضى الاستعمار على الصّحافة الجزائريّة وأمر بإيقاف الصّحف والجرائد. إذن فقد إعتمدت جمعيّة العلماء المسلمين لإيصال رسالتها التّعليميّة على وسائل ثلاث، المساجد والمدارس والنّوادي وقد ساهمت قي تكوين أجيال جزائريّة مسلّحة بالعلم والفضيلة والخلاق العالية، ولم تهتمّ الجمعيّة بالوعظ والإرشاد فقط بل إنّها كانت تنحو مناحي أدبيّة جماليّة، وقد طرح كتّابها القضايا الأدبيّة والنّقديّة على ساحة الدّرس النّقدي في الجزائر، وقد كتب ابن

[1]- ينظر المرجع نفسه ، ص 100 .

[2]- محمد رابح، "صحافة جمعيّة العلماء المسلمين الجزائريّين ودورها في الحركة الوطنيّة "، مجلّة القرطاس، تلمسان، عدد 6 ، جوان 2017 ، ص 71.

* البصائر : صدر العدد الأوّل منها في 27 ديسمبر 1935 وترأّس تحريرها الطيّب العقبي بمطبعة العاصمة ، أمّا البصائر الثانية فصدرت في 25 جويلية 1947 برئاسة الشيخ البشير الإبراهيمي.

[3]- المرجع نفسه ، ص 73.

باديس – رحمه الله – في مقال بعنوان " الفنّ الأدبي في الحديث النّبوي" يقول : الفنّ هو إدراك صفات الشّيء على ماهي عليه من حسن وقبح إدراكا صحيحا والشّعور بها كذلك شعورا صادقا، والتّصويرلها تصويرا مطابقا بالتّعبير عنها بعبارات بليغة في الإبانة والمطابقة للحال [1] ولا شكّ أنّ النّاس في حاجة إلى تذوّق الأدب وفهمه والاستمتاع بجماله ، فالأدب قريب للقارىء يستطيع كل واحد تذوّق رونق أسلوبه وجمال صورته وعذوبة ألفاظه بفكره وعواطفه ليستفيد منه، يقول ابن باديس : « كما تحتاج الأبدان إلى غذاء من المطعوم والمشروب كذلك تحتاج العقول إلى غذاء من الأدب الرّاقي والعلم الصّحيح ولا يستقيم سلوك الأمّة ولا تنقطع الرّذيلة من طبقاتها وتنشر الفضيلة بينهم إلّا إذا تغذّت عقول أبنائها بهذا الغذاء النّفيس، فنحن ننشر المقالات العلميّة والأدبيّة وكلّ ما يغذّي العقول من منظوم ومنثور من صحف الشّرق والغرب وأقلام كتّاب الوطن.»[2] وجمعيّة العلماء المسلمين اتّخذت طريق الإعلام والصّحافة لإيصال صوتها للعامّة من خلال الجرائد الّتي كانت تنشرها، فمثلا نجد جريدة البصائر، كانت تنشر أشعارا لشعراء جزائريّين أمثال الشاعر محمّد العيد آل خليفة وأحمد سحنون وغيرهم، فكانت تحمل في أقلامها قضايا وطنيّة وقضايا العالم العربي والإسلامي،« فجمعيّة العلماء كانت ترى أن أمثل مادّة تنفخ روح الحياة في الهياكل البشريّة فتنعشها و تفيض عليها من الأريحيّة و الإمتاع ما به قوام منآدها و مساك فضائلها و حفاظ مميّزاتها في مادّة الأدب .» [3]

إنّ أدب جمعيّة العلماء هو أدب عميق الرّؤيا، واسع البحث ، يبحث في ذات الإنسان مستمدّا توجيهاته من العقيدة الصّحيحة و من هدي السّنة النبوّية الشّريفة و كان بذلك أدبا أصيلا غير مبتور الوشائج و الصّلات معبّرا عن حال الأمّة العربيّة.

---

[1]– ينظر عمّار طالبي ، " النّزعة الإنشائيّة والجماليّة عند عبد الحميد بن باديس" ، مجلّة الصالة ، سل 02، عدد 07 ، ربيع الأوّل 1392هـ/ماي 1972م ، ص 39 .

[2]– فاطمة صواغير، " فنّ الترسّل في أدب جمعيّة العلماء المسلمين الجزائريّين " ، إشراف محمد عبّاس، كليّة الآداب واللّغات ، جامعة أبو بكر بلقايد ، تلمسان ، 2015-2016 ، ص 64،65 .

[3]– المرجع نفسه ، ص 65

وكتّاب جمعيّة العلماء كانوا ذو أدب رفيع و أسلوب عذب يحملون آمال و آلام الشّعب الجزائريّ في أقلامهم مراعين أوضاع المجتمع و طموحاته في الحريّة والاستقلال وقد برز عضوين من أعضاء الجمعيّة في الأعمال الأدبية هما : محمد العيد آل خليفة و الشّيخ البشير الإبراهيمي . أمّا الأول فهو « أول شاعر تشظّى عنه صدفة النهضة في الجزائر و شعره أوّل شعر حيّ رافق النّهضة العامّة و حدّ قوافلها الموقدة فأطرب و هو أوّل شعر جرى في عنانها و سجل مراحلها.»[1]

فهو زعيم الحركة الإصلاحيّة انتقل بالشعر من وظيفة التكسّب و التملّق إلى وسيلة فقالة في التّعبير دينيّا و وطنيّا ، يقول محمّد العيد آل خليفة ،

في قصيدته فاتحة ثناء و ابتهال :

جَعَلْتُ الشِّعْرَ فِي الدُّنْيَا نَجِـــيّْ فَكَانَ لِخَاطِرِي كَالتُّرْجُمَانِ

وَلَمْ أَكْفُفْ عَنْ اِسْتِنْهَاضِ شَعْبِـي بِهِ لِأَرَاهُ فِي أَعْلَى مَكَـانِ

لِذَلِكَ رَجَوْتُ أَنْ يَبْقَى كَذَخْـــرِ شَعْبِي رَافِعٌ لِلذِّكْرِ بَانِـي.[2]

فبعد ظهور جمعيّة العلماء المسلمين الجزائريّين تغيّرت الأهداف والأبعاد في الشّعر واكتسى لونا سياسيّا قوميّا من خلال القصائد الّتي واكبت العصر، معبريّن عن آلام وآمال الشّعب في أسلوب عذب وصورة جميلة، فكان همّهم الوحيد التخلّص من الاستعمار ولمّ الشّعب الجزائري والنهوض به مع الحفاظ على اللّغة العربيّة والدّين الاسلامي، أمّا الآخر فهو الكاتب والإمام والمصلح والحكيم محمّد البشير الإبراهيمي، يقول عنه الشّيخ عبد الرّحمان شيبان-رحمه الله- : « كان إماما في العربيّة وبلاغتها، تفقّه في أسرارها وتغذّى بآدابها واستنار بقرآنها وكان خطيبا مصقّعا، يميّز القلوب ببيان ساحر بعيد للأذهان ماكان للعربيّة من سلطان في عهد قس بن ساعدة وسحبان، كان محدّثا بارعا ،

[1]- أبو القاسم سعد الله ، محمّد العيد آل خليفة ، دار الشروق ، بيروت ،ط1 ، 1883 ، ص49 .

[2]- محمّد العيد آل خليفة ، ديوان محمّد العيد آل خليفة ، الشركة الوطنيّة للنّشر و التوزيع ، الجزائر ، ط2 ، 1979 ،ص09 .

لطيفا يغمر مجالسه بالحكمة ويجملها بالنّكتة، ويعطّرها بأريج ينعش الأرواح والعقول، أمّا أسلوبه في الكتابة فهو جاحظ عصره وبديع زمانهن ممّا جعله بحقّ معجزة من معجزات الثقافة العربيّة الإسلاميّة في القرن العشرين.»[1] فقد كان الإبراهيمي أديبا مطبوعا من الأدباء الإسلاميّين وكان من المصلحين الّذين عملوا على النّهوض بالمسلمين في عصرنا الحاضر، وقد كان حامل لواء الدّفاع عن اللّغة العربيّة في ربوع البلاد حي يقول : « اللّغة العربيّة في القطر الجزائري ليست غريبة ولا دخيلة، بل هي في دارها وبين حماتها وأنصارها وهي ممتدّة الجذور مع الماضي مشتدّة الأواصر مع الحاضر، طويلة الأفنان في المستقبل. »[2]

فقد كان الإصلاح في أدب الإبراهيم يأخذ الحظّ الأوفر حيث كانت جلّ مواضيعه إن لم نقل كلّها تهدف إلى إصلاح المجتمع الجزائري والنّهوض به من خلال الحفاظ على مقوّمات الشخصيّة الوطنيّة. « وقد اهتمّ الإبراهيمي بمقاومة الاستعمار ومقارعته في عدّة مجالات كما فعل ابن باديس من قبل وعمل على تحقيق الحركة الإصلاحيّة الّذي يتلخّص في كلمة ابن باديس الشّهيرة" الإسلام ديني والعربيّة لغتيّ والجزائر وطني"، فنشر المقالات وألّف المحاضرات الكثيرة »[3] ومن ذلك فقد اهتمّ الإبراهيمي بمحاربة الاستعمار مدركا أنّه هدفه محو الشخصيّة الوطنيّة، فكتب واصفا الاستعمار يقول: « الاستعمار كلّه رجس من عمل الشّيطان يلتقي القائمون به على سجايا خبيثة ذو غرائز شرهة

[1]–عبد الرحمن شيبانّ، الإمام الشّيخ محمد البشير الإبراهيمي واللّغة العربيّة " ، مجلّة الثقافة ، الجزائر ، عدد 87 ماي جوان 1985، ص 73.

[2]– عبد الوهّاب فرحات ، " الإبراهيمي ومنهجه في التّفكير والإصلاح " ، مجلّة المعيار ، قسنطينة ، جامعة الأمير عبد القادر ، م 12 ، عدد 24 ، ص 403 .

[3]– المرجع نفسه ، ص 412.

ونظرات عميقة إلى وسائل الإفتراس وإخضاع الفرائس وأهمّ تلك الوسائل قتل المعنويات، وتخذير الإحساسات الرّوحيّة.»[1]

ولم يبخل البشير الإبراهيمي بأدبه فقد كان يرصّع الأدب بأجمل خطاباته و قصائده في كلّ مناسبة ، فالكاتب الحقيقيّ هو الذي يحسّ بالحياة إحساسا عميقا و هو الذي أصبح وسيطا بين الحياة و بين أبنائها الآخرين ، فقد كان البشير الإبراهيمي يرصد مسار الحركة الوطنية ، ويعمل من أجل سعادة هذا الشّعب, « الواجب أن يكون للأديب غاية يرمي إليها و يجتهد حتّى يصل إلى التّأثير في

الشّعب . »[2] فقد أولى كتاب الجمعيّة اهتماما كبيرا في تربية الحركة الأدبيّة في الجزائر، « فالتّاريخ الفكريّ و الثقافيّ لأيّة أمّة و القياس و الأداة الفعّالة لوزن و قياس مدى نهضتها و رقتها و تقدّمها و مدى مشاركتها في تشييد الحضارة الإنسانيّة »[3] فكتّاب جمعيّة العلماء استطاعوا في وقت قصير اثارة الطريق أمام الجماهير ، من خلال جريدة البصائر التي كانت تنشر الوعي بين الجماهير ، و العمل على إحياء اللّغة العربية و نشرها وذلك عن طريق التّعليم العربيّ في الجزائر و تعليم المرأة بالخصوص ، و قد ظلّت أعمال الجمعية خالدة في جميع الجوانب و النّواحي من خلال الفنون الأدبيّة الجزائريّة الحديثة من خلال إسهامات أدبائها في مواضيعهم التي كانت بشكل أو بآخر تهيئ الجزائريّين للثورة على الاحتلال الفرنسي و النهوض باللّغة العربية ، وسنتناول أهمّ الفنون الأدبيّة الّتي تطرّق لها أقلام كتّاب جمعيّة العلماء المسلمين والّتي صوّرت الأحداث التّاريخيّة والسّياسيّة وكشفت عن خباياه وأسراره في مختلف المجالات

[1]- المرجع نفسه ، ص 413 .

[2]-البصائر، العدد 12 ، سل 1 ، 1938 ، ص05 .

[3]- يحي بو عزيز،"أحلام الفكر و الثقافة في الجزائر المحروسة "، دار البصائر ، الجزائر ،2009 ،ج1، ص7.

آ– فنّ الخطابة :

الخطابة هي من الفنون النثريّة والأدبيّة القديمة الّتي عرفها المجتمع العربي والجزائري بالأخصّ كغيره من المجتمعات « والخطابة هي فنّ مشافهة الجمهور وإقناعه واستمالته»[1] . وظهرت الخطابة أوّلا في العصر الجاهلي عند قسّ بن ساعده الأيادي ثمّ في العصر الإسلامي جاءت خطب الرّسول صلّى الله عليه وسلّم، ثمّ في العصور الأدبيّة الأخرى. واختلفت من عصر لآخر حسب ما تتطلّبه ظروف العصر، كما اختلفت خصائصها وصفاتها فهي وليدة الظّروف الّتي تعيشها الأمم والجماعات، حيث مرّت الخطابة بمراحل كغيرها من الفنن الأدبيّة من انحطاط وازدهار. أمّا في النّثر الجزائري الحديث فقد استندت الخطابة على التراث العربي القديم حيث اعتمد الخطيب على السّجع أحيانا واستشهدوا بالقرآن الكريم والحديث النبويّ الشّريف والشّعر العربي القديم، فرغم التّشابه في الشّكل إلّا أنّ المحتوى مختلف فالمواضيع تتجدّد بتجدّد العصور والزّمان.

وقد شهدت الخطابة في العصر الحديث ازدهارا وتنوّعت أغراضها فكانت هناك الخطابة الاجتماعيّة، السّياسيّة، الدينّيّة وكذلك الأدبيّة بالإضافة إلى خطب المدح والرّثاء وغيرهم.

أمّا في الجزائر فقد مرّت بظرف خاصّ فقد سلب الاستعمار الفرنسي كلّ البلاد وحاول القضاء على الثّقافة، وبهذا قد هيّئت الأرضيّة الخصبة لظهور خاصّة مع الأمير عبد القادر الّذي أدرك أنّ السّبيل الأوحد لاسترجاع الوطن هو الجهاد بالقلم فقد ادرك مدى تأثير الخطابة على الشّعب والدّعوة إلى الجهاد، كما عمل على استرجاع قوّة الأدب الجزائري وقد سارت « الخطابة خطوة طيّبة من حيث الصّياغة فتحرّرت من الرّكاكة والتّعقيد والتّراكيب المحفوظة وأصبحت فنّا هدفه الإبانة والإفصاح عن الرّأي لا التّلاعب بالألفاظ والتّقليد الجامد للأقدمين.»[2] هذا بالنّسبة للأمير عبد القادر أمّا عند بداية

[1]– أحمد محمد الحوفي ، " فنّ الخطابة " ، نهضة مصر للطباعة والنشر والتّوزيع ، مصر ، دط ،1937 ، ص 05 .

[2]– عبدالله الركيبي ، " تطوّر النّثر الجزائري الحديث" ، دار الكتاب العربي ، الجزائر ، دط ، دت ، ص17 .

نشاط جمعيّة العلماء المسلمين « أولئك الجزائريّين المثقّفين الّذين بالرّغم من تعليمهم العربي وتوجيههم الإسلامي أصبحوا هادفين بشكل واضح سيّاسيّا و وطنيّا.»[1]

وظهور جمعيّة العلماء أدّى إلى ظهور النّوادي والجمعيّات وبداية نشاط الصّحافة الوطنيّة هذا مازاد في تطوّر الخطابة من حيث الأسلوب والموضوع، وكتّاب الجمعيّة كغيرهم من العلماء قد تأثروا بالثقافة الأخرى وتعلّموا أفكارا جديدة عن الحضارة العربيّة وبعودتهم إلى الوطن بثّوا روح التّجديد والتطوّر ممّا زاد في إنارة العقول وتهيئتها.

بالعودة إلى الإسلام و إلى مبادئ اخواننا السّاف الصالح ، إذ شكلت الخطابة الوسيلة الفعّالة في تسيير نشاطات الجمعيّة و إيصالها للشّعب لتحريك روح الحرب و القتال و استرجاع أرض الوطن، و قد ترأس الخطابة الكثير من العلماء ممّن اشتغلوا في الخطابة العامة أو في التّعليم و الإمامة و أبرزهم « الذين اشتهروا بالفصاحة و البيان، الشيخ عبدالحميد بن باديس، الشيخ الإبراهيمي ، والطيّب العقبي، و أحمد توفيق المدني .»[2] ، و أبرزهم عبد الحميد بن باديس الذي يقول عنه عبد المالك مرتاض :«...ابن باديس لم يبرز في ناحية أدبيّة تبريزه في الخطابة التي يجب أن يكون أخطب الخطباء في النّصف الأوّل من هذا القرن في الجزائر فقد كان فارسها المعلّم،

وزعيمها المقدّم ،و قائدها من برع في الإستحواد على قلوب المخطوب فيهم بما أوتي من مواهب عالية في إثارة المشاعر ، وإيقاظ العواطف و تهييج القلوب ... كان ابن باديس أخطب النّاس في الجزائر على عهده ، شهد له بذلك معاصروه ، جميعا من أعدائه و أصدقائه »[3]

[1]– سليمان الصّيد ، " صالح بن مهنا القسنطيني، حياته ، تراثه " ، دار البعث ، الجزائر ، ط1 ، 1983 ، ص 188 .

[2]–المرجع السابق ، ص21 .

[3]–عبدالمالك مرتاض ،"نهضة الأدب العربي المعاصر في الجزائر "، مرجع سابق ، ص63 .

و لعلّ العلّامة ابن باديس كان أبرز من مثّل الخطابة في الجزائر أحسن تمثيل ، كان صادقا في تعابيره كثيرا الإستشهاد من القرآن الكريم و الشعر التراثي القديم ، فقد اشتهر بالفصاحة و قوّة التّأثير في الجماهير و دفعهم إلى مقاومة المستعمر الفرنسي.

و كان العلّامة ابن باديس ، إماما و رجل دين أكثر منه سياسي، فقد ردّ على دعوة الأمير قائلا : «أنا لست سياسيّا ، أنا رجل دين ، حسبي أنّي أنشر الدّين الإسلامي .» [1]

و بهذا فقد اشتهر ابن باديس بالخطبة الدينيّة أكثر من غيرها ، وكانت أبرز انتاجاته الفنيّة ، فكان يخطب في العامّة و الخاصّة ، في جميع المناسبات أو أثناء تنقلاته داخل أو خارج الوطن ، من خطب ارتجاليّة تميّزت بطولاتها و المبالغة في الإنفعالات العاطفيّة .ومن أبرز خطبه التي ارتجلها سنة 1936 في الإجتماع العام بعد تجديد مكتب الإدارة التي يقول فيها : «... إخواني قدمتموني للرّئاسة و هذا اعتراف منكم بأنّي أبقى على ما كنت عليه . فأنا رجل مسلم و رجل وطني . كلّ حواسي و كلّ عقلي هو لخدمة وطني . نعم أخدمه و أدرجه حتى لا يكون هنالك انحدار و لا انهيار .. »، ويقول أيضا :« إنّ ميدان العمل في هذه الجمعيّة لميدان واسع و هنالك للعمل في ميادين أخرى لا أدخلها باسمها ، ولكن (إن كان فيها منفعة) أدخلها باسمي-إن كان عند قومي قيمة لاسمي – و أرجو أن يعينني الله عليها...»[2] و يقول في الخاتمة : «وانّ من الحقّ أن نتأدب بالأدب النبويّ ومنه ان لا نتمنى لقاء العدوّ فإذا لقيناهم فلنصبر و الله معنا .. إن لنا آمالا تتبعها أ'مال ، و نسأل الله أ، يجعلنا حيّ أ'مال لا حيّ أقوال ، صدق الله أعمالنا و أقوالنا و الله المستعان و السّلام عليكم و رحمة الله و بركاته»[3] .

---

[1]-عبد الرحمن بن ابراهيم العقون ،"الكفاح القومي السيّاسي،منخلال مذكرات معاصر،1929-1936 م،المؤسسة الوطنيّة للكتاب،الجزائر،د ط، 1984 ،ص35

[2]-الشّهاب –مجلة- م الثاني عشر ، ج الثامن ، قسنطينة ، رجب 1355 – سبتمبر 1936 ،ص360

[3]- المصدر نفسه، ص361

في هذه الخطبة التي ألقاها العلّامة ابن باديس يشكر كلّ أعضاء الجمعية لوضعهم الثّقة فيه و تسليمه لرئاسة مجلس الإدارة ، كما وجّه لهم بعض الإرشادات و الحكم التي تنير دروبهم نحو التجديد و الإصلاح . كما يدعوهم إلى الموعظة الحسنة واتّباع طريق السنّة النبويّة الشّريفة للقضاء على المستعمر الفرنسي، والتحليّ بالصّبر والمسؤوليّة لنيل الحريّة الكاملة ويختمها بأنّ كلّ الآمال التّي نطمح لها الله وحده القادر على توقيفنا فيها.

وفي خطبة أخرى قالها بنادي اللترقي بالعاصمة سنة 1937 بمناسبة الاجتماع العام للجمعيّة يقول فيها : « القصد من هذه الجمعيّة هو محاربة الآفات الاجتماعيّة كالخمر والميسر والبطالة والفجور، فكل ما يفسد على النّاس عقولهم أو يضيع عليهم أموالهم فهو من الآفات ولهذا حاربت الجهل والجمود والدّجل والخرافة وكلّ أنواع الأباطيل، وحاربت كلّ واقف في طريق التعلّم والتّعليم... لأنّ ذلك من أسباب البطالة والفجور.»[1]

فقد بيّن ابن باديس في هذه الخطبة هدف الجمعيّة وغايتها التّي تتمحور حول نبذ القيّم الرّذيلة ومنع وتفشّيها في المجتمع الجزائري والعمل على نشر الأخلاق الفاضلة كالعلم والتّعليم للقضاء على الجهل والأباطيل فقد عملت جمعيّة العلماء المسلمين على الوعظ والإرشاد للقضاء على المستعمر الذّي كان أهمّ انشغالاتها، وربطت كلّ أسباب الجدع والخرافات والتقهقر في المجتمع الجزائري بالاستعمار الفرنسي .

والملاحظ في هذه الخطبة أسلوب ابن باديس وفكره الجدالي وحسن اختياره للكلمات المناسبة ; فكان من أهمّ ما قاله ابن باديس في هذه الخطبة: «حوربت فيكم العربيّة حتى ظنّ أن قد مات منكم عرقها و مسخ فيكم نطقها ، فجئتم بعد قرن تصدح بلابلكم بأشعارها فتثير الشعور و المشاعر و تهدر خطباؤكم بشقاشقها فتدكّ الحصون و المعاقل ; و يهز كتّابكم أقلامها فتصيب الكلام و المفاصل .»،«وحورب فيكم الإسلام حتّى ظنّ أن قد طمست أمامكم معالمه ; و انتزعت منكم

[1]- المصدر نفسه ، ص 353 .

عقائده و مكارمه فجأتم بعد قرن ترفعون علم التوحيد و تنشرون من الإصلاح لواء التجديد و تدعون إلى الإسلام كما جاء به محمد ﷺ و كما يرضي الله لا كما حرّفه الجاهلون و شرهه الدّجالون و رضيه أعداؤه .»[1]

و مالوحظ في هذه الخطبة تكرار الفعل "حورب" المبني للمجهول يدل على فكره المتسامح مع الخصوم فهو لا يعني شخصا بعينه بل يخاطب الجماعة; و يشيد باللّغة العربية و دورها في تعزيز العلم فهي أداة يبلّغ بها الخطيب رسالة للجمهور فتثير مشاعرهم، كما ناشد بفضل الإسلام و التّوحيد و دعوتهم لنبد حرف الجاهليّن، فقد اتّخد ابن باديس من العلم و اللّغة و الإسلام شعارا للدّفاع عن الأمة فكانوا أساس النّهضة التي تريدها الجزائر. والخطابة عند ابن باديس كانت تسير على النّزعة الإصلاحيّة التي تعمل على بثّ معالم و مقاوّمات الهويّة العربيّة ; ونشر مبادئ الدّين الإسلامي ، كما اعتمدت على لغة بسيطة مكوّنة من مصطلحات دينيّة مستشهدا بالقرآن الكريم و اثارت العاطفة و الوجدان .

و جمعيّة العلماء المسلمين اعتبرت الخطابة أقوى سلاح لتوعية الشّعب الجزائري و إنارة عقولهم على مواجهة الاستعمار الفرنسي و استرجاع الحريّة، ولما كانت الخطابة ألصق الوظائف بالجماهير حيث لا تستطيع الجمعيّة الاستغناء عنها فهي ترتبط بواقع الجزائر وظروفها السياسيّة; وذلك كلّه بالاستناد على القرآن الكريم وإتباع هدي السنّة النبويّة الشريفة للوصول إلى الحريّة والصّبر على المحتّل ومواجهته بكلّ الطّرق والتّضحية بالنّفس والنّفيس. ومنه فقد أولت الجمعيّة فنّ الخطابة الحظّ الأوفر في مختلف الميادين الاجتماعيّة والثّقافيّة والسياسيّة والإصلاحية وأسهمت في تطوير اللّغة العربيّة والإبقاء عليها وعلى مرونتها، كما أسهمت في نشر المبادئ والأهداف الّتي ضحّى بتا الشّعب الجزائري.

ب – فنّ المقالة :

[1]–الشهاب ، م الثالث عشر ، ج الثامن ، 357 .

و تعرّف على أنها قطعة إنشائيّة ذات طول معتدل تكتب نثرا و تلمّ بالمظاهر الخارجيّة للموضوع بطريقة سهلة سريعة ، و لا تعنى إلاّ بالنّاحية التي تمسّ الكاتب عن قرب [1]

و قد ظهرت المقالة الأدبيّة في أدبنا الحديث في القرن التّاسع عشر فكانت ثمرة الإتّصال بالغرب و آدابه و ارتبطت المقالة بظهور الصّحافة و الإعلام ، كالصّحف و المجلّات التي تناولت مختلف الجوانب الأدبية و الإجتماعية و السياسيّة و غيرهم ... وقد نشأت المقالة في حضن الصّحافة و خدمت كلّ أغراضها المختلفة . أمّا ظهور المقالة عند كتّاب جمعيّة العلماء المسلمين كان وليد ظروف اجتماعيّة كان يتخبّط فيها المجتمع الجزائري بفعل ما خلّفه المستعمر من مشكلات اجتماعيّة كالفقر و البطالة بالإضافة إلى الظّلم و الإستبداد ، فاتجه كتّاب الجمعيّة إلى إنشاء الصّحف و المجلّات كصحيفة البصائر ، المنتقد و مجلّة الشهاب و غيرهم من الصّحف التي عرضت مقالات الجمعيّة التي تتجه للدّفاع عن الشّعب و محاربة المستعمر ، جاعلين فنّ المقالة قلمهم المعبّر عن أفكارهم و مبادئهم و آمالهم ،« فكانت جريدة البصائر ساحة لفرسان الكلام من أمثال عبد الحميد بن باديس و الإبراهيمي و الشيخ العقبي و غيرهم من رواد جمعية العلماء المسلمين تزخر بخير ما انتجوا من هذا الفنّ ..»[2]

فقد كتب ابن باديس عن أهداف كتّاب الجمعيّة قائلا :«ثمرة هذه الغاية هي سلامة المسلمين من تلك الآفات فأمثالها حتى يمكنهم أن يرتقوا في جميع نواحي الحياة إلى أقصى ما نترقى إليه الأمم ، فيكونوا محترمين من أنفسهم و من غيرهم يفيدون و يستفيدون و يعرفون كيف يسوسون وكيف يساسون فتربح بهم الإنسانيّة عضوا من خير من عرفت من أعضائها.»[3] ومن الواضح أنّ كتّاب البصائر قد أحسنوا اختيار مواضيعهم فاهتمّوا بمختلف القضايا الوطنيّة والعربيّة آنذاك، فعالجوا

---

[1]–ينظر محمد يوسف نجم ، "فن المقالة" ، دار الثقافة ، بيروت ، ط4 ، 1966 ، ص94

[2]–فاطمة صواغير ،"فن الترسّل في أدب جمعيّة العلماء المسلمين الجزائريّين " مرجع سابق ،ص107.

[3]– الشّهاب ، م الثّاني عشر ، ج الثّامن ، ص 354 .

المواضيع الإجتماعيّة والسّياسة وقضيّة الدّين الإسلامي، فقد اعتمد كتّاب الجمعيّة إلى فكرة مزدوجة تظاهر بمسالمة الحكومة الفرنسيّة وفي مضمونها مواجهة المستعمرين والطّرقيّين وغيرهم من أعداء الوطن، ولقد كانت جمعيّة العلماء المسلمين الجزائريّين المعبّرة عن وضع الشّعب الجزائري حاملة للقضيّة الفلسطينية منذ بدايتها، وتتبّعت الجمعيّة في ذلك طريق السّنة النبويّة والصّحابة رضي الله عنهم. وقد كتب في القضيّة الفلسطينيّة من بينهم البشير الإبراهيمي وعبد الحميد بن باديس وتوفيق المدني ومحمّد العيد آل خليفة وإبراهيم ابو اليقظان والطيّب العقبي* الّذي أولى اهتماما كبيرا للقضيّة الفلسطينيّة حيث اعتبرها قضيّة الجزائر وكلّ العالم العربي والإسلامي فكتب عدّة مقالات من بينها مقال بعنوان " لبيك لبيك فلسطين فما أنت لأهلك فقط ولكنّك للعرب كلّهم وللمسلمين أجمعين " الّذي جاء في جريدة البصائر حيث يقول فيه : « لهذا فإنّ كارثة فلسطين لم تكن أمرا يخصّ أهلها فحسب.... ولكنّها مأساة عامّة وكارثة عظمى حلّت بالعلم الإسلامي كلّه والعرب أجمعين...» ويقول أيضا : «

* الطيّب العقبي : هو الطيّب بن محمد بن ابراهيم، ولد في شوّال 1307هـ في الجزائر بلدة عقبة، قرأ القرآن على يد أساتذة مصريّين برواية حفص، نبغ العقبي في العلم برغم عدم انتظام دراسته في معاهد علميّة وتميّز في نظم الشّعر والأدب، عمل بالتّدريس وبدأ مسيرته الإصلاحيّة بالكتابة في الصّحف الحجازيّة داعيا للإصلاح والعمل، إعتقلته السّلطة الفرنسيّة قرابة شهر بعد عودته من الحجاز ثمّ افرج عنه، كتب عدّة مقالات في مجلّات المنتقد والشّهاب التي يشرف عليها ابن باديس، أسّس مجلّة له ولإخوانه في بسكرة فظهرت جريدة "صدى الصّحراء " في ديسمبر 1925 م ثمّ انفرد بتأسيس جريدة الإصلاح عام 1927 م وأوقفتها السّلطة الفرنسيّة 1928 ، كان للعقبي دور بارز في الإصلاح والدّعوة والتّوحيد، عيّن رئيسا للجمعيّة الخيريّة الإسلاميّة ومحاضر في نادي التّرقي عام 1931 م ، توفيّ رحمه الله يوم 21 مايو 1961 م ودفن في مقبرة " ميرامار " بالرّايس حميدو ، كانت جنازته مهيبة حضرها قرابة خمسة آلاف شخص ، كان للعقبي داعية في حياته وموته ، فقد أوصى بشدّة أن تكون جنازته على السّنة بعيدة عن البدع. ومن شعره قوله :

مَنْهَجِي شَرْعُ النَبِيّ المصْطَفَى واعْتِقـــادِي سَلَفِي ذُو سَدَادِ

لَمْ أَطُـــفْ قَطُّ بِقَبْرٍ لَا وَ لَا أَرْتَجِي مَا كَانَ مِنْ نَوْعِ الجَمَادِ.

كلّ هذا من الإنجليز الظّلمة، وتحت نظر بموافقة جمعيّة قالو عنها أنّا جمعيّة الأمم وعصبة الشّعوب المتمدينة .» [1]

ويذكر الطيّب العقبي أنّ قضيّة فلسطين ليست قضيّة أهلها فقط بل هي قضيّة العالم العربي والإسلامي وكلّ الشعوب، ويبيّن حسرته على ألم الشّعب الفلسطيني ومعاناته من القمع الصّهيوني، وهذا الاحتلال جاء بسبب الإنجليز الّذين سمحوا بدخول الاحتلال الصّهيوني لأرض فلسطين الاستيلاء عليها.

أمّا توفيق المدني فقد نشر مقالا عن وصفه لمشهد فلسطيني يقول : « وكانت فلسطين مجاهدة فكان يوم الحادي والعشرين محرّم يوم تتويج الجهاد الفلسطيني بتاج الضحيّة والاستشهاد، ماتوا رحمهم الله فخلدوا ذكرى الجهاد والتضحيّة وأثاروا بموتهم في وجه الشّعب الفلسطيني سيل الحياة ومسالك النّجاة، ولم تدفن جثث الأبطال في تلك القبور الثلاثة، كلا لقد دفن أولئك في القلوب العربيّة الدّامية، وإنّما الذي دفن في تلك القبور أبديّا هو سياسة حسن الظنّ في الإنجليز واعتماد الضّعيف على القويّ لإحراز حقّه.»[2]

في هذا الجزء من المقال يصف توفيق المدني مشهد فقدان فلسطين لأغلى ثلاثة متيّمين بأحقيّة المسلمين فيها معبّرين أنّها قضيّة العرب والمسلمين، وفاضحين النّظام الصهيوني وخبثه ومكره، بالإضافة إلى موضوع آخر تناوله الكتّاب في مقالاتهم الّتي اشتملت على أفكار متنوّعة، للأحداث الّتي جرت مستشهدين في ذلك بأحداث تاريخيّة يقول ابن باديس في —مقاله دفاعا عن العربيّة والإسلام في الجزائر– : « علموا أن لا بقاء للإسلام إلّا بتعليم عقائده وأخلاقه وآدابه وأحكامه وأن لا تعليم لا

[1]— الطيّب العقبي ، "كارثة فلسطين تثير العالم الإسلامي والعربي في وجه الإنجليز " ، جريدة البصائر ، الجزائر ، العدد 78 ، السّنة الثانية ، 13 أوت 1937 ، ص 221 .

[2]— أحمد شفيق أحمد ابو جزر ، " العلاقات الجزائريّة الفلسطينيّة في ظلّ الاحتلال الفرنسي " (مواقف وأسرار) ، دار هومة ، الجزائر ، دط ، 2014 ، ص 179،180 .

إلّا بتعليم لغته، فناصبوا تعليمها العداء وتعرضوا لمن يتعاطى تعليمها بالمكروه والبلاء، فمضت سنوات في غلق المكاتب القرآنيّة ومكاتب التّعليم الدّيني العربي والفنّ بالرخص واسترجاع بعضها حتّى لم يبقوا منها إلّا على أقل القليل.»[1] فقد ساهم كتّاب الجمعيّة في تطوير النّثر الأدبي من خلال خطاباتهم ومقالاتهم الّتي عالجت مختلف القضايا الوطنيّة و العربيّة و الإسلاميّة و تضمّنت فكرة الإصلاح في باطنها و عبّرت عن العاطفة و الشّعور في أسلوب أدبي بسيط و دقيق في معانيه لا يخلو من اللّهجة الشّديدة الّتي تعبّر عن ألمهم الشديد تجاه محنة الشّعب الجزائري و الشّعوب العربيّة ، كما عبّر كتّاب الجمعيّة عن موقفهم تجاه الواقع الّذي كان محلّ اهتمامهم و كتاباتهم .بالإضافة إلى كتابات جمعيّة العلماء المسلمين في النّثر الفنيّ كذلك عبّروا عن الواقع من خلال الشّعر أمثال الشاعر محمد العيد الخليفة من شبانها في حكم الإعدام الّذي نفّذه الصهيون بتهمة الانضمام إلى حركات مهاجمة الصهيونيين، وقد وقف كتّاب الجمعيّة في مقالاتهم مدافعين عن فلسطين،

ج- فنّ الشّعر :

أخد الشّعر في الأدب العربي الحديث الحظّ الأوفر من التّعبير، فقد صوّر الشعراء انفعالات النّفس البشريّة من عواطف و أحاسيس ; و يتميّز الشّعر من مرحلة إلى أخرى و من بلد إلى آخر، وقد أدرك الشّاعر اضطرابات المجتمع فراح يعبّر عن قضايا وطنه السياسيّة و الاجتماعية فكان الشّاعر الجزائريّ ملتزما بالحركة الوطنيّة و وجود الإستعمار الفرنسيّ في الجزائر، فحمل الشّاعر رسالته النّبيلة في الإصلاح و نشر العلم و الوعي بين الشّعب الجزائريّ، و في الثلاثينات ظهرت جمعيّة العلماء المسلمين تتبنّى حركة الإصلاح في الجزائر وقد سخّر شعراء الاتجاه الإصلاحي أقلامهم و قرائحهم لخدمة مبادئ وغايات شعبهم وأمّتهم فكانت كلمتهم مدويّة و مسموعة أرعبت تبثث الأخ فتبيّن حينها أن الشّعر

[1]- محمد الميلي ، " ابن باديس وعروبة الجزائر" ، منتدى دور الأزبكية ، الجزائر، دط ، 2007 ، ص 150 .

و أهله يتحمّلون مسؤولياتهم بحكمة و أمانة [1] ، ثمّ توسعت دائرة الحركة الاصلاحية في الجزائر وأخذ الشعراء يكتبون في كلّ مناحي الحياة ، فأصبح الشّعرمن أهمّ أسلحة الفكر الاصلاحي ووسيلة ليقظة النّهضة الدينيّة. [2] وتطوّر الشّعر الاصلاحي بفضل دعم الشّعب الجزائري فجعل منه حركة قويّة ومؤثّرة فأصبح الشّعر يمثّل مركز قوة الشّعب والتصدّي للاستعمار الفرنسي.

إنّ الشّعر الاصلاحي كان يهدف إلى تصوير الواقع الاجتماعي وإلى التدهور الّذي حصل للشّعب الجزائري، وهذا الاصلاح لم يمس الحياة الاجتماعيّة فقط بل تعدّاه إلى الحياة السياسيّة والثقافيّة والأدبيّة، فاتّخذ الشّاعر هذا الشّعر أداة للتّعبير عن الأوضاع الّتي آلت إليها الجزائر، فنجد الشّاعر محمد العيد آل خليفة [*] يعبّر عن الفساد الّذي آل إليه المجتمع فيقول :

فَرَطَ النَّاسُ فِي الحُدُودِ فَأَمْسَـــتْ تَتَبَارَى فِي دُوسِــهَا الأقـْدَامُ

نُشِر الكُفْرُ فِي حُمَى الدِّينِ ذِكْرَا هُ وَ أَحْيَتْ عُهُودُهَا الأَصْنَامُ

وغَدَا البَغْيُ ظَافرًا حَوْلَهُ الجُـنْ دُ عَزِيزًا تَظَلُّـــــهُ الأَعْـلَامُ

---

[1]– ينظر، عبد الله لطرش ، " الاتجاه الإصلاحي في الشعر الجزائري الحديث " ، مجلّة اللّغة العربيّة ، الجزائر ، ع السّابع والثلاثون ، 2017، ص 159 .

[2]– ينظر حميدة قادوم ، " إسهامات الشّاعر محمد العيد آل خليفة في تحقيق البنية الاصلاحيّة " ، مجلّة اللّغة العربيّة ، الجزائر ، ع السّابع والثلاثون ، 2017 ، ص 159 .

[*] محمد العيد بن محمد علي بن خليفة من محاميد سوف المعروفين بالمناصير من أولاد سوف، ولد في مدينةعين البيضاء بتاريخ 28 أوت 1904م الموافق ل 27جمادى الأولى 1323هـ بعد تلقّي القرآن والدّروس الإبتدائيّة بمدرستها الحرّة عن الشّيخين محمد الكامل ابن عزوز وأحمد بن ناجي، وفي سنة 1927م دعي إلى العاصمة للتّعليم بمدرسة الشّبيبة الإسلاميّة الحرّة حيث بقي مدرّسا بها ومديرا لها مدّة اثني عشر عاما، كما أسهم في تأسيس جمعيّة العلماء المسلمين ، نشر الكثير من القصائد في صحف الجمعيّة (البصائر السنّة الشريعة والصّراط) لقّب بشاعر الشباب وشاعر الشّمال الافريقي توفي سنة 1979م بباتنة ودفن في بسكرة ومن آثاره أنشودة الوليد ، رواية بلال بن رباح (مسرحيّة شعريّة) ، وديوان محمد العيد .

وَفَشَا الزُّورُ والقِمـَارُ عَلَى الأَرْ ضُ وَعَمَّ الأَذَى وطَمَّ الخِصَام[1]ُ

في هذه الأبيات يصّور الشّاعر مظاهر الفساد والانحراف الذي وقع فيه الشّعب حيث أصبح النّاس يتسابقون نحو الكفر والبغي والخمر والزّور وغيرهم من الأخلاق الفاسدة الّتي تفشّت بينهم . وفي حديثه عن آفّة الخمر وأضرارها وسلبيّاتها يقول محمد العيد آل خليفة :

الخَمْرُ شــرْبَةُ رِجْسٍ أمْ أَرْجَــاسٍ الخَمْرُ صَاعِقَةٌ تَهْوِي عَلَى الــرَّاسِ

الخَمْرُ مِحْنَةُ سُوءٍ مَنْ أُصِـيبَ بِهَا أُصِيبَ فِي كُلِّ وَعْيٍ مِنْهُ حَـسَّاسِ

مَا الخَمْرُ إِلّا ظَلَامٌ لِلنُّفُوسِ فَــلاَ يَغُرُّكَ مِنْهَا شُعَاعٌ لَاحَ فِي الكَاسِ

فَحَطِّمْ الكَأْسَ وَ اهْجُرْ عَلَى رِفْقَتِهَا تـَعِشْ وَ تَـأْمَنْ أَلْسُـــنَ النَّـاسِ[2]

يصف الشّاعر الخمر أنّه آفّة مضرّة بالإنسان ويدعو شارب الخمر إلى الإقلاع عنها والابتعاد عن شاربي الخمر والرّجوع إلى السّبيل الصّحيح، حتّى يخلص من ألسن النّاس وحديث السّوء عنه.

وإذا انتقلنا إلى الوضع الدّيني نجد محمد العيد آل خليفة يصوّر تفشّي البدع والخرافات في المجتمع ويحذّر الإنسان من الدّخول في المحارم وتجاوز حدود الإسلام إلى الفساد، يقول في ذلك :

لَا تَعْبَثْ وَيْحَكَ يَا ابْنَ آدَمَ مُفْسِدًا إِنَّ الحَيَاةَ مَحَارِمٌ وَحــدُودٌ

تَدْرِي إِلَى مَنءِ أَنْتَ فِيهَا كَـادِحُ أَمْ أَنْتَ فِيهَا الإِلَهُ كَنــوُدٌ [3]

[1]– محمد العيد آل خليفة ، " الدّيوان " ، دار الهدى ، الجزائر ،ط1 ، 2010 ، ص 177 .

[2]– المصدر نفسه ، ص 256 .

[3]– الشّهاب –مجلّة– م التّاسع ، السّنة التاسعة ، 1936، 1937 ، ص 322 .

ونجد الطيّب العقبي يذكر ظهور الطّرق الصوفيّة في الجزائر وتفشّي الانحراف، ويدعو إلى إصلاح المجتمع والقضاء على هذا الانحراف يقول في ذلك في ذلك :

وفَشَا الدَّجَلُ فَالوِلَايَةُ دَعْوَى كُلُّ ذِي سبْحَةٍ تَطُولُ وَذَقْنِ

وَغَلَا القَـــوْمُ فِي الوَالِـي أَنَّهُ كَالإِلَهِ يُغْنِي وَ يُقْنِـــي

وَتَنَادُوا فَوَدَعُوا مُصْلِحِيهِمْ وَمَتَى كَانَ مُصْلِحٌ غَيْرَ سُنِّيِّ [1]

وفي ذكر المولد النّبوي الشريف أنشد محمد العيد آل خليفة في حفل أقامته جمعيّة الشّبيبة الإسلاميّة بنادي التّرقي ونشرت القصيدة سنة 1937 يقول :

أَلَا أَنْعَمُ أَيُّهَا النَّادِي بِذِكْرَى مَوْلِدِ الهَادِي

لَقَدْ جِئْـــنَاكَ وُرَّادًا عَلَى آثَـــارِ وُرَّادِ

نُحَيِّي خَـيْرَ مَوْلُودٍ بَدَا فِي خَيْرِ مِيـلَادٍ

وَسَرَّ فِي إِثْرِهِمْ سَيْرًا قَوِيـمًا غَيْرَ مُنَـادٍ

أَلَا فَلْيُحَيِّي دِينَ الل هـ آمـــَادًا لِآمـــَادٍ[2]

بالإضافة إلى الجانب الدّيني الذي عالجه الشّعر الإصلاحي وعمل على اصلاح الدّين الإسلامي، حيث تطرّق الشّعراء المصلحون إلى مواكبة الأحداث السياسيّة بل كانت من أهمّ المواضيع الّتي عالجها

[1]- المصدر نفسه ، ص 111 .

[2]- الدّيوان ، ص 72 -75 .

الشّعر الاصلاحي، فقد عبّر عن الحركات السياسيّة والنّوادي والجمعيات، وخير مثال قصيدة مفدي زكريّا * الّتي يعبّر فيها عن ما آلت إليه السّياسة في الجزائر يقول :

وَفِي الجَزَائِرِ نَصَّابُونَ هَمُّهُمْ عَلَى الدَّرَاهِمِ مَقْصُورٍ وَ مَحْدُودِ

وَ لِلزَّعَامَةِ دَجَّالُونَ لَيْسَ لَهُمْ مِنَ الزَّعَامَةِ إِلَّا الخَمْرِ وَالغَيــْدِ

وَ لِلشَّعَائِرِ هَدَّاجُونَ، قَدْ جَثَمُوا حَوْلَ المَقَاصِرِ أَحْلَاسُ قَنَافِيدِ

وَفِي الثِّيَابِ ذِئَابٌ لَيْسَ يَتْبَعُهَا إِلَّا دَمُ الشَّعْبِ مَسْفُوحٌ وَمَصْفُودٌ[1]

في هذه المقطوعة يعبّر الشّاعر عن الأوضاع السياسيّة في الجزائر والفوضى الّتي حدثت بفعل الأحزاب السياسيّة والحكم الفاسد الّذي ساد المجتمع الجزائري آنذاك وتفشّي الانحراف السياسيّ فقد أصبح الحكّام يجرّون وراء المال والزّعامة همّهم الوحيد ولا يطبّقون هدي السّنة النبويّة الشريفة ويهربون وراء ثياب حبّ الوطن شكلا ومضمونا، ويطبّقون السّياسة الفرنسيّة .

وقد تفطّن كتّاب جمعيّة العلماء المسلمين للدّور الّذي تؤدّيه المرأة في الجزائر فدعوا إلى تربية المرأة على الأخلاق الإسلاميّة وتعليمها، كما أنّ جمعيّة العلماء كانت تدافع عن اللّغة العربيّة فهي تكفل المرأة وتعمل على تعليمها بعد أن كانت المرأة تتخبّط وسط الظّلام والإهمال والّتي كانت حبيسة الجهل الذي فرضه الاستعمار الفرنسي عليها، يقول محمد العيد آل خليفة في ذلك :

* ولد زكريّا بن سليمان يوم 12 يونيو 1908 بأحد القصور السّبعة لوادي ميزاب بني يزقن في ولاية غرداية ، عرف بلقب مفدي أطلقه عليه سليمان بوجناح، بدأ تعليمه الأول في الكتاتيب بمسقط رأسه فدرس القرآن ومبادىء اللّغة العربيّة ثم رحل إلى تونس وفيها واصل تعليمه باللّغتين العربيّة والفرنسيّة بمدرسة العطارين والمدرسة الخلدونيّة ثم التحق بالزّيتونة فحصل على شهادتها، انضمّ إلى صفوف العمل السياسيّ والوطني في أوائل ثلاثينيات القرن العشرين، واكب الحركة الوطنيّة في المغرب العربي بشعره ونضاله شارك في مؤتمرات طلبة شمال أفريقيا المناهضة لسياسة الإدماج، اعتقل أكثرمن مرّة من طرف الاحتلال

[1]– مفدي زكريّا ، " اللّهب المقدّس" ، دار موفم ، الجزائر ، ط3 ، 2000 ، ص 266،267 .

عَلِّمُوا المرْأَةَ الحَقَائِقَ فِي الدِّينِ فَقَدْ طَوَّحَتْ بِهَا الأَوْهَامُ

عَلِّمُوهَا كَيْــفَ الوِقَايَةُ مِمَّا هَاجَمَــتْهَا بِشَــرِّهِ الأَيَّامُ

لَا تُغْرِنَّهَا بِضَاعَةُ نَخَّاسِــينَ كَانَتْ بِهَا الإِمَاءُ تُسَــامُ[2]

وهكذا واكب الشّعر الاصلاحي الأوضاع السّائدة في المجتمع وظلّ يعبّر كلّ ما يخصّ الشّعب الجزائري فقد عبّر الشّاعر عن الانحراف الّذي ساد العقيدة الدّينية، وعن سياسة الاستعمار في القضاء على الدّين واللّغة، كما عالج المواضيع الاجتماعية من فساد وخمر وانحلال خلقي، فطرح الشّعر الدّاء وحاول إيجاد الدّواء، كما تميّز بالتفاؤل بالمستقبل والحريّة من جهة ثانية فقد« كان للحركة الاصلاحيّة دور فعّال في بعث نهضة شعريّة جديدة في الجزائر فهي الّتي أحيت الحرف العربي وأعادت له روحه بعدما أشرف على الاندثار نتيجة لسياسة التّغريب والتّجميل الّتي مارستها فرنسا على الشّعب، فكان من الطّبيعي أن يرتبط الشّعر بالفكر الاصلاحي.[1]

«أَيُّهَا التَارِكُ الصَّلَاة أَبِنْ لِي أَيُّ عُذْرٍ لَهُ تَرَكْتَ الصَّــلَاةَ

أَيُّ عُذْرٍ لَهُ تَرَكْتَ صَــلَاةً تُكْسِبُ العَبْدَ خَشْيَـةً وَ أَنَــاةً

أَغُرُورًا تَرَكْتَهَــا أَمْ نُفُــورًا أَمْ كُفُورًا أَمْ سَخْطَةً أَمْ شَهَاتًا ؟

هَكَــذَا يَنْقَضِ زَمَانُكَ لَيْلًا و نَهَارًا تُؤَجِّلُ الأَوْقَاتَــــا

---

[1] - الونّاسي شعبان ، " تطوّر الشّعر الجزائري منذ سنة 1945 إلى سنة 1980 " ، ديوان المطبوعات الجامعيّة ، الجزائر ، ص 39 .

[2]– أبو القاسم سعد الله ، " محمد العيد آل خليفة" ، دار الشروق ، بيروت ، القاهرة ، ط1 ، 1883 ، ص 266 . .

إِنَّهَا سَـــاعَةٌ تَمُرُّ كَأَنْ لَمْ تفْنَ فِيهـــا عَشِيَّـةً أَوْ غَدَاةً

كَمْ غَنِيٍّ بِالفَقْرِ فُوجِئَ يَوْمًا و مُعَافَى إِذَا بِهِ قِيلَ مَاتَـــا»[2]

و قد سعى شعراء الاتجاه الإصلاحي إلى إيصال رسالتهم المشحونة بالأسى و الحسرة و في المقابل الدّفاع عن اللّغة العربية و العلم و عن العروبة ، محاربين الاستعمار الفرنسي بشعرهم حيث عمل الشّعراء المصلحين على توعية الشّعب الجزائري إيقاظه من الغفلة ، و علاج بعض الانحرافات و الفساد و بناء القيم الأخلاقيّة النّبيلة التي تصنع مقوّمات الشّخصيّة الجزائرية، و قد استمد الشعر مادّته من الواقع الجزائري استجابة المتطلبات العصر مستجيبين لآمال الشّعب و طموحاته و لقد خدم الاتجاه الإصلاحي، اللّغة ، و الفكر و الأخلاق ، و بذلك كان أحد مقوّمات العقيدة و تصحيح الأخلاق الفاسدة و نشر العلم و الوعي و محاربة الجهل .فكان من أبرز أدباء الإتجاه الإصلاحي ، الإمام و المفكّر و المصلح الشّيخ البشير الإبراهيمي الذي ساهم بعلمه في الحفاظ على مقوّمات الشخصيّة الوطنيّة و الدّفاع عنها بمحاربة السياسة الفرنسيّة من خلال كتاباته و إبداعاته و سنتطرّق إلى ذلك في الفصل الثّاني متحدّثين عن أدبه و نزعته النقديّة في إصلاح المجتمع الجزائري .

[2] – الدّيوان ، ص249

الفصل الثاني: مقاصد النّزعة النّقدية في أدب البشير الإبراهيمي

أوّلا : أدب البشير الإبراهيمي

يعبّر الأدب عن تجربة شعوريّة شخصيّة الكاتب فيها احساس وانفعال شخصي، هذه التّجربة يقدّمها الأديب في شكل عمل إبداعي وفنّي سوء كان نثرا أم شعرا خدمة للأدب، ولا شكّ أنّ النّاس في حاجة إلى تذوّق الأدب والاستمتاع بجماله; فالأدب قريب من القارئ يستطيع كلّ واحد تذوّقه بفكره وعواطفه .« والأدب عند طه حسين هو فنّ رفيع لا ينزل عن مستواه وإنّما يرقى إليه طلابه ومحبّوه، وليس الأدباء مكلّفين بأن يعلموا النّاس ويبلغوا بهم من الثّقافة والعلم إلّا حين يستطيعون أن يتذوّقوا الآداب الرّفيعة والفنون الجميلة، وإنّما يطلب ذلك من الّذين يقومون على شؤون التّربية والتّعليم .»[1] و«الحديث عن الأدب بشكل عام يؤذي إلى الالتفات للأدب الوطني الجزائري بشكل خاص ، و هو بطبيعة الحال قديم ، و ذلك نظرا لأصالة الشعور بالوطنيّة و بّ الوطن و التّضحية بالنّفس و النّفيس من أجله »[2] و الأدب ينقسم إلى شعر و نثر ، فالشّعر عما يعرّفه القدامى "هو الكلام الموزون الموفّ " ، و النثر هو سرد كلام فنيّ بأسلوب غير مقيّد لا يخضع لقاعدة ايقاعيّة معيّنة و يمتاز بأفكاره الجليّة و لغته العريقة .

و قد كان الإمام البشير الإبراهيمي أحد أبرز علماء الجزائر ممّن كتبوا في الأدب الجزائري الحديث ، فقد كان عظيما في عقله ووجدانه ، و بقلبه و لسانه و قد كان واسع المعرفة بالفقه و التّشريع و علوم اللّغة و الأدب و قد كتب في الأدب شعرا كان أو نثرا و كان منه ناثرا أكثر من ما هو شاعر فساهم في إثراء الحياة الأدبيّة في الجزائري عن طريق العديد من الآثار التي خلّفها في شتّى المجالات .

والحديث عن النّثر في أدب الإبراهيمي يقتضى من الدّارس ضرورة الإشارة إلى أمرين ، الأوّل يتعلّق بمصادر انتاجه من جرائد و مجلات عربيّة و جزائريّة منها مجلّة الشّهاب ، و جريدة البصائر في

---

[1] إسماعيل ونوغي ، " الأبعاد الاصلاحيّة في أدب محمد البشير الابراهيمي المقال الاجتماعي أنموذجا" ، مجلّة اللآداب واللّغات ، جامعة المسيلة ، ع 2 ، ديسمبر 2015 ، ص 178 .

[2]—المرجع نفسه ، الصفحة نفسها .

سلسلتها الثّانية ، و أمّا الآخر فيتعلّق بميزة منفردة اختصّ بها الإبراهيمي و هي الظاهرة الأسلوبيّة التي ميّزته عن غيره من الكتاّب في النّثر الجزائري الحديث خاصّة [1]، إنّ البشير الإبراهيمي ساهم بنثره الفنيّ في ثراء الأدب الجزائري ، فقد اتخذ النّثر وسيلة فنيّة لتبلغ رسالته الإصلاحية ،لأنه كان يدرك جيّدا أن الأدب صورة للحياة و تعبير عنها ، يؤثر فيها و يتأثّر بها ، فهو ببساطة تعبير عن الإنسان في هذه الحياة . [2]

و قد دعا الإبراهيمي إلى التّغيير و الحفاظ على اللّغة العربيّة بكل ما أوتي من براعة القول متخذا الأدب لبلوغ مقصده ووسيلة لتبليغ دعوته، والنّثر عند الإبراهيمي يمكن تقسيمه إلى : المقالة ، الخطابة ، الرّسالة ، الخاطرة ، المقامة ، وأدب الرّحلة وغيرهم من الفنون النّثرية .

أ– المقالة :

« يرتبط تاريخ المقالة في أدبنا الحديث بتاريخ الصّحافة ارتباطا وثيقا، فالمقالة بنوعيها الذّاتي والموضوعي لم تظهر في أدبنا أوّل ما ظهرت على أنّها فنّ مستقّل

شأنها في فرنسا وانجلترا، بل نشأت في حضن الصّحافة واستمّدت منها سمة الحياة منذ ظهورها . »[3]

والمقالة في أمريكا « قد شهدت ازدهارا عظيما وخاصّة في وصف الطّبيعة وفي النّقد الأدبي وشهرتها في سائر بلدان العالم لا تقل عن ذلك، لأنّها أصبحت الوسيلة السّريعة الأولى للاتصال بالقراء وتزويدهم بالمعلومات وإثارة أفكارهم وعواطفهم، وذلك في الصّحف السيارة وفي المجلّات . »[4] ويعرّفها إدموند جوس « في بحثه المنشور في دائرة المعارف البريطانيّة بقوله : « المقالة باعتبارها فنّا من فنون الأدب

[1]–ينظر ، محمد عبّاس ، "البشير الإبراهيمي أديبا " مرجع سابق ، ص134

[2]– ينظر محمد الطاهر يحياوي ، "أحاديث في الأدب و النّقد " ، شركة الشهاب " ، الجزائر ، 1990 ، ص13

[3]– محمّد يوسف نجم ، " فنّ المقالة " ،مرجع سابق، ص 64،65.

[4]– المرجع نفسه ، ص 64 .

هي قطعة إنشائيّة ذات طول معتدل تكتب نثرا وتلمّ بالمظاهر الخارجيّة للموضوع بطريقة سهلة وسريعة ولا تعنى إلّا الناحية الّتي تمسّ الكاتب عن قرب » [1]

إذن فيمكننا القول إنّ المقالة هي قطعيّة نثريّة قصيرة أو متوسّطة، تعالج القضايا العامّة والخاصّة وتكون ذات فكرة موحّدة، تقوم على أسلوب سهل وخال من التكلّف وقد تحتوي على شيء من الخيال والعواطف، وللكاتب أن يعرض فيه أيّ فكرة سواء كان الموضوع اجتماعيّا أو سياسيّا أو نقديّا وغيرها من المواضيع الّتي تتعلق بمجالات الحياة شريطة أن تصل للقارئ في أبلغ تأثير فتكون انعكاسا وجدانيّا لشخصيّة الكاتب .

إنّ هذه المقالة لم تكن بالجانب الفنّي بقدر ماكانت تبتغي تحرير الشّعب الجزائري من كلّ الجوانب وهو الهدف الجوهري الذّي يصبو إليه البشير الإبراهيمي من خلال مقالاته المتعدّدة وقد أخذت المقالة حظّ الأسد من أدب الإبراهيمي، حيث كانت تغطّي مساحة كبيرة في حقل الأدب الجزائري الحديث بفكره وكتاباتهن وشخصيّة الإبراهيمي لاتظهر للدّارس كاملة الوضوح بنزعتها وموقفها، إلّا في أدبه المقالي حيث يستطيع القارئ أن يستشفّ ذاتيّة الإبراهيمي وهي تهيمن على الفكرة المطروقة وتصبغ الموضوع بحرارة وجدانه وحماسة لهجته .[2]

ويمثّل المقال إحدى الطّرق الصّوفية الفنيّة الّتي اعتمد عليها البشير الإبراهيمي في التّعبير عن قضايا المجتمع عن آماله وآلامه، وقد كان يرتكز مقاله على الإصلاح وبالأخصّ الإصلاح الدّيني من خلال أسس ارتكز عليها تدعو إلى العقيدة والسنّة النبويّة الشريفة وتمثّل هدفه في العودة بالجزائريّين إلى الدّين الصّحيح سلوكا وعقيدة.

[1]- المرجع نفسه ، ص 94 .

[2]- ينظر ، محمد عباس ، " البشير الإبراهيمي أديبا " ، مرجع سايق ، ص 136 .

ولعلّ ازدهار المقالة الأدبيّة ترتبط بظهور الصّحافة الاصلاحيّة الّتي احتضنت هذا الفنّ الأدبي الّتي ساهمت في تطوّره على يد مفكّرين وكتّاب، ويعدّ في «طليعة كتاب

العربيّة في العصر الحديث وفي الرّعيل الأوّل من شيوخها المبرزين، كالشّيخ محمد البشير الإبراهيمي الّذي ملأ الجزائر بمقالاته ذات الأسلوب الأنيق. » [1]

وممّا لا شكّ فيه أنّ « الإبراهيمي يمتهن حرفة الصّحافة ويرأس قلم التّحرير فمن البديهي أن يكون خبيرا بفنّ الكتابة، يغرف من تجاربه الطّويلة .»[2] والمتصفّح لمقالات الإبراهيمي يجدها تصبّ في المواضيع الإصلاحيّة والسياسيّة عموما، وسنعرض لذلك في العناصر الموالية حيث يمكن تقسيم مقالات الإبراهيمي إلى سياسيّة واجتماعية ودينيّة وإصلاحية وأيضا نقديّة وسنفصّل في كلّ واحدة كالآتي :

1- المقالة السياسيّة :

تهتمّ المقالة السياسيّة بالتّعبير عن المشاعر تجاه الوطن بغية إيقاظ الشّعوب من غفلتها لمواجهة الوضع السياسيّ، كالتّعبير عن الأحزاب السياسيّة وغيرها أو كتابة رسالة سياسيّة إلى الرّئيس أو الحاكم .« وتأخذ المقالة السياسيّة مكانها المرموق في الأدب العربي الحديث ، وتكتسب شهرة عالية، وتدخل ميدان العصر بوجه بيّن الملامح للحضور الواقعي، فتعتمد على الفكر النّاقد لسير الأمّة، وتعبّر عن الثورة، والسّلم والحرب، وهي أوسع المقالات انتشارا في العصر الحديث .»[3]

[1]- عبد الملك مرتاض ، " فنون النّثر الأدبي في الجزائر (1937-1954) ، ديوان المطبوعات الجامعيّة ، الجزائر ، 1983 ، ص 88 .

[2]- المرجع السّابق ، ص 136 .

[3]- محمد عبّاس ، "البشير الإبراهيمي أديبا "، مرجع سابق ، ص 141 .

ويتميّز المقال السياسيّ بالبعد عن التكلّف واستخدام الألفاظ السّهلة من أجل إيصالها إلى القارئ في فكرة واضحة وذلك بذكره كافّة البراهين والشّواهد التاريخية، حيث تثير حماسة ، ويعتمد فيها الكاتب على إثارة العواطف لدى المتلقّي . ونجد هذا اللّون من المقالات في أدب البشير الإبراهيمي، حيث كان يصوّر الأحداث السياسيّة في فترة الاحتلال الفرنسي للجزائر، ودور الأحزاب السياسيّة آنذاك، « حيث كان الإبراهيمي يتابع الأحداث ويتفاعل معها في مقالاته السياسيّة وتتعدّد هذه المقالات في معالجة قضايا مختلفة تهمّ حياة الجزائريّين في أكثر الأحيان، وهم يعانون من جسامة العذاب الفرنسي ... فتمضي المقالة السياسيّة تصوّر هذه المأساة، فيعبّر الكاتب عن نفسيّته داخل مضمون سياسي، وقد تنعكس هذه الظّاهرة جليّة على نحو ما يراه الدّارس في مقال الكاتب بمناسبة ذكرى الثّامن ماي.[1] و نضرب لذلك مثالا مقال سياسي يتحدّث فيه الإبراهيمي عن مجازر 8 ماي 1945 الأليمة يقول فيه:« يوم مظلم الجوانب بالظّلم مطرّز الحواشي بالدّماء المطلولة مقشعرّ الأرض من بطش الأقوياء، مبتهج السماء بأرواح الشّهداء خلعت شمسه طبيعتها فلا حياة و لا نور، و خرج شهره عن طاعة الرّضيع فلا ثمر و لا نمور، و غبنت حقيقته عند الأقلام فلا تصوير، ولا تدوين، يوم ليس بالغريب عن (رزنامة) الإستعمار الفرنسي بهذا الوطن...»[2]

في هذا المقال يعرب الكاتب عن ما آلت إليه الأوضاع في الجزائر من خلال المجازر الّتي وقعت في هذا اليوم فيصوّر من خلال ذلك صور للحزن و الظّلم الّذي تعرّض إليه الشّعب الجزائريّ، فيجذب أحاسيس القارئ و يدخله في المشاركة الوجدانيّة، و يمكن القول أن المقالة السيّاسيّة في أدب الإبراهيمي بلغت أوجّها في التأثير على عواطف المتلقّى و ذلك « بالرّغم من ارتباط المقالة السياسيّة بالصّحافة الّتي تستلزم أدبا نثريّا واضحا متدفّقا لأنّ دائرة الصّحافة واسعة، يقرأها المثقّف وغير

[1]-ينظر ، المرجع نفسه ، ص 142 .

[2]-المرجع نفسه،الصفحة نفسها .

المثقف»[1] وهذا فيما يرتبط بالمقالة السياسيّة الّتي لا تبتعد عن المقالة الاجتماعيّة فهما سلاح ذو حديّن.

2- المقالة الاجتماعيّة :

تهتمّ بدراسة موضوع اجتماعي وتعرّف أيضا أنّها مقال مكتوب يبحث في القضايا الاجتماعيّة المعاصرة المطروحة في السّاحة، وتساهم في إيجاد الحلول لتلك المشاكل والقضايا الاجتماعيّة المستعصية، حيث يعتمد بشكل كبير على الواقع المعاش ويحوي بعض الأمثلة حول القضيّة الرئيسيّة في النّص بحيث يطرحها ويوضّحها للقارئ، « والمقالة الاجتماعيّة تصوّر جوانب واقعيّة من عصر الكاتب وشؤون مجتمعه، ويعدّ الإبراهيمي أحد الّذين أغنوا الصّحافة الجزائريّة عموما والإصلاحية منها خصوصا، والّتي كانت حارسا أمينا ومربيّا حاذقا تحارب الانحلال الخلقي وتقاوم الآفات الاجتماعيّة وتبني الشّخصيّة الجزائريّة وتعدّها إعدادا وطنيّا سليما.»[2]

وقد كان البشير الإبراهيمي داهية في توظيف المقالة الاجتماعية لتصوير أهمّ الآفات الاجتماعيّة المنتشرة في المجتمع الجزائري آنذاك ومحاربتها، والعمل على بناء شخصيّة جزائريّة وطنيّة وسليمة، يقول في موضوع الأميّة وسبل التخلّص منها : « ومن الأمثلة الصّريحة الّتي لا تحتاج إلى ترتيب الأقي[3]سة في الاستدلال عليها نقيصة الأميّة، فإنّها لا تفشوا في أمّة وتشيع بين أفرادها إلى فتكت بتا وألحقتها بأخس أنواع الحيوانات، وكّنت فيها للجهل والسّقوط والذّلة والمهانة والاستعباد، والأميّة بمعناها اللّغوي العرفي وهو الجهل بالقراءة والكتابة، مرض فتّاك، ونقيصة مجتاحة، ورذيلة فاضحة، وشلل وزمانة في جسم الأمّة الّتي تبتلى بها يقول المتنبيّ :

---

[1]- المرجع نفسه ، ص 152 .

[2]- محمد عباس ،" البشير الإبراهيمي أديبا" ، مرجع سابق ، ص 153 .

[3]- محمد البشير الإبراهيمي ،" الآثار" ، ج1 ، مرجع سابق ، ص 202 .

وَلَمْ أَرَ فِي عُيُوبِ النَّاسِ شَيْئًا كَنُقْصِ القَادِرِين عَلَى التَّمَامِ »

من خلال هذه الفترة يحاول الكاتب أن يوضّح معنى الأميّة بشكل صريح وواضح حتّى أنّه شبّهه بالفيروس الّذي يدخل الجسم فيفتكه، كذلك الأميّة إذا تفشّت في المجتمع عطّلت مواهب وقوى الأفراد، وجعلت منهم حيوانات بشريّة فأفقدتهم معظم خصائص الحياة، وفي الأخير يحاول إيجاد حلول لمحو الأميّة من المجتمع الجزائري حيث يقول : « وحيث أنّنا جرّبنا التّعليم بقسميه فلم يفدنا في التّخفيف من مصائب الأميّة، فقد قام الدّليل على أنّه غير كاف في المقصد الّذي نتحدّث عنه وأنّ وسائله ناقصة ووجب أن تضاعف الجهود وأن تنظم الخطط على قاعدة طبيعيّة بالنّسبة إلينا وهي أنّنا نريد تبديل الأميّة بتهذيب ولا نريد تبديلها بصناعة... وكلّنا يعلم أنّ تعميم التّعليم بقدر المستطاع قطع لانتشار الأميّة وتضييق لدائرتها[1].»

ويبقى الهدف الأسمى في نظر الكاتب هو القضاء على الأميّة هو تحطيم جذورها المتمثّلة في الآفات الاجتماعيّة واستبدالها بالأخلاق الفاضلة وذلك كلّه عن طريق تعميم التّعليم على النّاشئة وتضييق دائرة الأميّة، وهذا ما كانت تسعى إليه جمعيّة العلماء المسلمين آنذاك وهو ما يؤكّد أنّ الإبراهيمي كان مبتغاه من خلال المقالة الاجتماعيّة هو تبنّي موضوع الأميّة ومعالجته بأسلوب تهذيبي ممّا زاد من وضوح أفكاره الاصلاحيّة.

3- المقالة الدّينيّة :

هي المقالة الّتي تتناول أمور الدّين من عقيدة وفقه وأصول، ويدافع الكاتب فيها عن قيمة الدّينيّة ويهاجم الخصوم الّذين يكيدون للدّين، وهي أيضا تلك المقالة « الّتي يهتمّ صاحبها بإبراز عاطفته الدينيّة نحو أمر يمسّ العقيدة أو يتّصل بالمجتمع، فيكتب مقالة تبيّن عن رأيه فيما هو بصدده متّسما أسلوبه بالتّدفق الشّاعري نحو القيّم الدينيّة... فهو ينطلق في توجّهه من عبث أو تله أو استدرار قدر

[1]- المصدر نفسه ، ص 205.

ما يستند إلى ذلك المنبع العظيم النيّر المشرق يستمدّ منه توجّهه .»[1] ويعتبر الإبراهيمي من الأئمّة المصلحين الّذين عملوا على تصحيح العقيدة بعيدا عن الخرافات والبدع محاولا توعية الشّعب عن طريق القرآن الكريم والسنّة النبويّة فقد بعثه الله لهذه الأمّة في أحوج الأوقات لتعليم الشّعب دينهم الصّحيح وتربيتهم على الأخلاق الفاضلة، وفي مقاله "الرّجوع إلى هدي القرآن والسّنة" يقول :« أيّها المستمعون الكرام في مشارق الأرض ومغاربها : اجتمع المسلمون في أوّل أمرهم على هداية إلاهية عامّة، وهي هداية الدّين التّي جاء بها القرآن وشرحها محمد بن عبد الله صلى الله عليه وسلّم، ودعا إليها المستعدّين وحضّ عليها المستجيبين ونفّذها في أمة الإجابة .»[2]

يبدأ الإبراهيمي مقالته بالنّداء حيث جمعهم في " أيّها المستمعون الكرام " و لم يخصَّ في ذلك ، أي المستمعين باعتبار الخطاب كان في باكستان* من خلا منبر الإذاعة فوجّه خطابه لشعوب المشرق و المغرب و كلّ المسلمين ، فقد حثّ على العودة إلى الدّين الّذي أوصى به الله في كتابه الكريم و دعى به سيّد الأنبياء عليه الصّلاة و السّلام ، ثم يذهب للشّرح و التّفصيل في موضوع الهداية للدّين و هو الموضوع الأصلي حيث يقول :« تجتمع تلك الهداية على عقائد صحيحة، و تحفظ علائق العبد بربّه و تحدّدها، و أخلاق متينة تحفظ العلائق بن العباد و تحدّدها، و تزن المصالح بالميزان القسط، و تقرّر للفضيلة وزنها و قيمتها، و للرّذيلة وزنها و قيمتها، و تجعل بينهما حدّا كأنّه منطقة حياد فيه للمؤمن خيار و له فيه رويّة و أحكام عادلة، تحفظ حقوق العباد و تفصل في مواطن مظان الشّقاق، و تجمع أطراف الأمة من غنيّ و فقير على العدل و الإحسان . »[3]

---

[1]– حسين علي محمد ، " التّحرير الأدبي – دراسات نظريّة ونماذج تطبيقيّة– " ، مكتبة العبيكان ، الرّياض ، ط7 ، 1441هـ–2011م ، ص 170 .

[2]– محمد البشير الإبراهيمي ، الآثار ، ج4 ، مصدر سابق ،ص 63 .

*حديث في إذاعة باكستان ، أفريل 1952

[3]– المصدر نفسه ، الصفحة نفسها .

في هذه الفترة يحدّد الابراهيمي مبادئ العقيدة الصّحيحة للمسلم، حيث تبدأ من علاقة العبد بربّه وتعامل العبد مع الآخرين وفق ما يتماشى مع الدّين الإسلامي، ويبيّن محاسن الفضيلة ومساوئ الرّذيلة، وكان مرجع الشّعوب كلّها القرآن الكريم فهو يجمع كلّ الأمّة من غني أو فقير على العدل والإحسان. وقد لاحظ الإبراهيمي انحراف الأمّة في عقيدتها، بعد أن أصبحت في طاعة عمياء وعبوديّة لغير الله، لا تفكّر ولا تسمع ولا ترى وتعمل بما نشره الغرب من خرف وبدع وهذا ما جعل الإبراهيمي يعطي للعقيدة مكانة كبيرة، والعمل على تنقيتها من الضّلال والبدع لإرجاعها نحو العقيدة الصّحيحة وتحسين علاقة العبد بربّه. والإبراهيمي باعتباره إماما مصلحا كان هدفه من هذه المقالة الدّينية أو غيرها من المقالات كمقالة " الدّين المظلوم" ، مقال " دروس الوعظ في رمضان" ، "عيد الأضحى" ، "أثر الصّوم في النّفوس" ، " معنى العيد" ، "حكمة الصّوم في الإسلام" وغيره من المقالات الدينيّة أو الاجتماعيّة أو السياسيّة، فقد كان هدفه اصلاحي أكثر ممّا هو أدبي أو اجتماعي وهذا بعض ممّا أبدع فيه قلم الإبراهيمي وعبقريّته في الاصلاح باختلاف مواضيعه .

ب– الخطابة :

عرفت الخطابة بتعاريف كثيرة تقترب من بعضها البعض، وأوضح وأدقّ ماعرفت به الخطابة أنّها : « فنّ مخاطبة الجماهير بطريقة إلقائيّة تشتمل على الاقناع والاستمالة . »[1] ويشتمل هذا التّعريف على خصائص الخطابة الّتي تميّزها عن سائر الفنون الأدبيّة وهي الإقناع والاستمالة، وهذا التّعريف قد ارتضاه الكثير من العلماء حيث أنّه شامل لكلّ التّعاريف . وأقدم تعريف للخطابة ماجاء به أرسطو في كتابه – الخطابة– على أنّه : « القدرة على النّظر في كلّ ما يوصل غلى الإقناع في مسألة من المسائل . »[2] ويقصد أرسطو بالخطابة هي فنّ إقناع الجمهور بفكرة معيّنة وذلك بالتأثير على أفكارهم عن طريق تقديم الحجج والبراهين، فالخطابة إذن هي فنّ يقوم أساسا على التحدّث بشكل

[1]– عبد الجليل عبده شلبي ، " الخطابة وإعداد الخطيب " دار الشّروق ، القاهرة ، ط1 ، 1401 ، 1981 ، ص 13

[2]– أرسطو طاليس ، الخطابة– الترجمة العربيّة القديمة– تحقيق عبد الرّحمن بدوي ، دار القلم ، بيروت ، دط ، دت ، ص 90 .

شفهي مع المستمعين واستمالتهم، وقد ظهرت الخطابة « بعد أن انتشرت الأفكار الاصلاحيّة واتّصلت الجزائر بمن حولها، وأنشئت النّوادي والجمعيّات الثّقافية وانتشرت الصّحافة الوطنيّة، كل ذلك أدّى إلى ظهور خطابة متطوّرة في اسلوبها ومضمونها وموضوعها إذا كان طبيعيّا أن تنشط الخطابة في جوّ يمتاز بالحركة والصّراع والدّعوة إلى فكر يستمدّ أصالته من العصور الذّهبية للخطابة العربيّة، ويعتمد على الفصاحة والبيان العربي في المشرق .»[1]

وقد أثبت الإبراهيمي زعامته لهذا الفنّ، حيث كان من أكبر الخطباء في العالم العربي « فقد ولّى عناية كبيرة واهتماما بليغا للخطابة، ذلك أنّ الحقل الذّي يتحرّك داخله يقتضي منه بالضرورة أنّ يلبّي الحاجة الّتي تستدعيها فكرة الاصلاح وإن كلن الابراهيمي أديبا أكثر منه مصلحا »[2] ، وقد جعل الإبراهيمي خطبه في المناسبات المختلفة وسيلة في بناء الأمّة الإسلاميّة وإصلاح حال المجتمع، فكان يلقيها في الجزائر وفي البلدان العربيّة فكانت خطبه مصدر إلهام ومحلّ إعجاب وتقدير رفقائه.

« وقد ملك الإبراهيمي ناصية القول واستوعب البيان العربي وتبحّر في اللّغة العربيّة وآدابها وامتاز بالقدرة على توليد الكلام، وامتز بالموهبة الأدبيّة وعرف بالارتجال .»[3]

وقد اعتمد الإبراهيمي على عدّة خطب للتّأثير في الجمهور منها من ضاعت ولم تدوّن والبعض ممّا وصلنا، حيث يمكن تصنيفها إلى :

1- الخطبة الدّينيّة :

وتسمّى أيضا بالوعظيّة حيث أنّها تعنى ببيان مبادئ الدّين الإسلامي وأحكامه، وتقوم على الوعظ والإرشاد، كما أنّها تهتمّ بتبيان أحكام الشّرع الإسلامي في كلّ الأمور باختلافها « والخطبة الدّينية هي

[1]- عبد الله الركيبي ، " تطوّر النّثر الجزائري الحديث " ، المؤسّسة الوطنيّة للكتاب ، الجزائر ، دط ، 1983 ، ص 22 .

[2]- محمد عبّاس، " البشير الإبراهيمي أديبا" ، مرجع سابق ، ص 187 .

[3]- المرجع نفسه ، ص27 .

الّتي تعتمد على تعاليم الدّين أو تلقى لغرض من أغراضه فهي تشمل الخطبة المنبريّة الّتي تلقى في الجمع والأعياد ويوم الحجّ الأكبر وعند صلاة الاستسقاء تلك الأمور الّتي بيّن الدّين أنّ لها خطبة كما تشمل المواعظ والخطب الّتي تلقى في المجتمعات الدينية .»[1]

إنّ النّظرة الدّينية في أدب الإبراهيمي تبرز من خلال هدفه المباشر في تصحيح العقيدة الإسلاميّة وترسيخ مبادئها في أذهان النّاس، والدّعوة إلى ضرورة التمسّك بمبادئ الإسلام والعروبة والوطنيّة واتحاد الشّعب في كتلة واحدة لمحاربة الاستعمار الفرنسي وتحقيق الحريّة.

ومن أجمل الخطب الدّينية الّتي ارتجلها الإبراهيمي بمناسبة اختتام تفسير القرآن الكريم لابن باديس تميّزت برشاقة أسلوبها وعذوبة ألفاظها وجمال صورتها، أقيمت في حفل قسنطينة سنة 1936 * مخاطبا فيها الجماهير الّتي حضرت الحفل التّكريمي ، حيث قال : « أيّها الملأ الكرام : ما أشرقت شمس في الجزائر الحديثة على مثل يومكم بالأمس، ولقد مضى بجلاله وروعته ولم ينطق في وصفه لسان بكلمة ولا اختلجت في نعته شفتان بحرف لا زهد فيه ولا عدم عرفان لحقه ولا غبنا لحقيقته كيوم شوقي الذّي قال فيه :

غَبَنَتْ حَقِيقَتُهُ وَمَاتَ جَمَالُهَا بَاعَ الخَيَالُ البَقَرِيُّ المِلْهِمُ *

---

[1]– عبد الجليل عبده شلبي ، " الخطابة وإعداد الخطيب" ، مرجع سابق ، ص 108 .

* بمناسة هذا الحدث العظيم أقيمت حفلة رائعة دامت ثلاثة أيّام (12-13-14) ربيع الثّاني 1357 هـ الموافقة ل (11-12-13) يونيو 1938 م ، شهدت قسنطينة أفواجا من العلماء والطلّاب والأعيان ومحبّي العلم والدّين من سكّان القطر الجزائري، وأنشد أمير شعراء الجزائر محمد العيد آل خليفة قائلا :

بِمِثْلِكِ تَعْتَزُّ البِلَادُ وَ تَفْخَـــــرُ وَتُزْهِرُ بِالعِلْمِ المُنِيرِ وَ تَزْخَرُ

طُبِعَتْ عَلَى العِلْمِ النُّفُوسُ نَوَاشِئًا بِمَخْبَرِ صِدْقٍ لَا يُدَانِيهِ مَخْبَرُ

نَهَجَتْ لَهَا فِي العِلْمِ نَهْجَ بَلَاغَةٍ وَنَهْجَ مُفَادَاةٍ كأنك حَيَـــــدَرُ

* أحمد شوقي ،" الدّيوان" ، دار العودة ، بيروت ، ج2 ، ص 187 .

وإنّما هو كلام الله وبيت الله عقدا الألسنة بجلالهما وحبسا النّفوس على جمالهما فجاء اليوم وجاءت كلية الشّعب يقضيان من ذلك حقّا غير مغفل...»[1]

بدأ الإبراهيمي الخطبة بمخاطبة الجمهور (أيّها الملأ الكرام) وربّما أنّه نسي ان يستهلّها بالبسملة والصّلاة على النبيّ كما جرت العادة لدى الخطباء ، وذلك عندما وقف أمام الجمهور العريض ، معبّرا عن فرحه لهذا اليوم العظيم الذّي ختم فيه ابن باديس تفسير القرآن الكريم، حيث يناشد بهذه اللّيلة المباركة فلم يترك فيها وصفا ولا كلمة إلّا قالها عليها، فقد شبّهها ببيت أحمد شوقي الّذي وصف فيه الثورة في قصيدته " الحريّة الحمراء" من حيث هو يوم رائع وعظيم، كأنّ هذا اليوم يكاد ينطق بفرحه للعلّامة ابن باديس . وفي حديثه عن اللّغة العربيّة يقول : « ولقد علّمتنا لغة العرب فنّا في مصاص الأشياء فقهنا منه أن من النّساء عقائل، وأنّ في الأموال كرائم ، وأنّ في الجواهر فرائد ، وأنّ في النّجوم دراري ، وأنّ في الشّعر عيونا وأنّ في الذّخائر أعلاقا إلى آخر مايجري على هذا النّسق ....»[2]

في هذه الفقرة يقرّب الخطيب الجمهور من مكانة اللّغة العربيّة وذخيرتها الواسعة في براعة الألفاظ والأفكار، حيث يقدّمها في شكل جميل وألفاظ عذبة ساعدت على تسلسل الأفكار وترتيبها أحسن ترتيب.

ويمكن للقارئ أن يستشفّ أساليب الخطابة من سهولة الألفاظ وبساطة الأسلوب وسجع وتكلّف، حيث لا يترك الخطيب الحديث جافّا فيؤتيه بالاستشهادات من القرآن الكريم ويعزّزها بالتّفسير والشّرح والتّعليل، موظّفا الأسلوب الحجاجي الّذي يتناسب مع المقام ولا ننسى توظيفه لأدوات النّداء والتّنبيه حيث يقدّم في الأخير الحلول الّتي يمكن حدوثها، فقد وظّف الإبراهيمي الخطابة بكلّ تفاصيلها وأساليبها مستخلصا النّتائج الواردة دون إغفال فكره الاصلاحي ودوره كناقد اجتماعي

[1]– الشّهاب – مجلّة– م الرّابع عشر ، ج الرّابع والخامس ، قسنطينة ، المطبعة الجزائرية الإسلامية ، ربيع الثّاني 1357 هـ ، جوان 1938 م ، ص 277 .

[2]– الشّهاب ، مصدر سابق ، ص 278 .

وثقافي، وهذه إحدى خطب الإبراهيمي الّتي ألقاها ارتجالا، حيث له عدّة خطب دينيّة ألقاها في مختلف المناسبات داخل وخارج الوطن.

2- الخطبة السياسيّة :

و تأخذ الخطبة السّياسيّة منحى يتعلق بقضايا الدّولة و المجتمع و إقامة الأحكام و تمثّل الخطابة وسيلة لفظيّة لتحسين العلاقة بين الحاكم و المحكوم و العكس.حيث تستخدم كوسيلة للنّصح و الإرشاد في أمور الحياة و الدّين و القيم و المبادئ فتكون أكثر تأثيرا و إقناعا و انتشارا في المجتمعات.

«إن اهتمام الإبراهيمي بالخطبة السياسيّة يرجع إلى السّياسة الاستعمارية ، فكانت خطبه السّياسيّة لفضح السّياسة الاستعماريّة و توعية الشّعب بحقوقه في الحياة و مصدر إلهام في بعث الرّوح الوطنيّة و الثّورة على الاستعمار ».[1]

فحين نذكر الخطبة السّياسية يتعلّق الأمر مباشرة بالإبراهيمي الّذي كان أولى بمن فضح سياسة القمع و التعذيب الفرنسي ، و تصوير فضائحها ، وتسجيل صراع الشّعب الجزائري في مقاومة المحتلّ الفرنسي بكلامه الصّادق المنير ، من أحسن و أشهر الخطب السيّاسيّة ارتجالا للإبراهيمي الّتي ألقاها أمام الوفود العربية و الإسلامية يوم التّاسع و العشرون من شهر يناير 1952*حين عقدت الأمم المتّحدة دورة، يقول في مقدّمتها : « حضرات أصحاب معالي الوزراء ، حضرات أصحاب السّعادة و العزّة ، حضرات الزملاء ، حضرات الأقلام ، حضرات الإخوان ، هذه ليلة ارتفعت فيها الكلف ،

[1]- أبو القاسم بن يحي ، "الفكر الإصلاحي عند محمّد البشير الإبراهيمي و أبعاده الحضارية" ، مذكّرة ماستر ، قسم اللّغة و الأدب العربي ، تخصّص الحضارة العربية الإسلامية ،كلية الآداب و اللّغات ، جامعة أبو بكر بلقايد ، تلمسان ، 1432 هـ- 1433 هـ ، 2011 م – 2012 م ، ص 32

* في مساء الثلاثاء 29 جانفي 1952 أقامت شعبة جمعيّة العلماء بباريس مأدبة عشاء بنزل" العالمين"(دوموند) في شارع الأوبرا على شرف الوفود العربيّة والإسلامية في منظمة الأمم المتّحدة، وقد ألقيت في هذا الحفل ثلاث خطب : الأولى للأستاذ عبد الرحمن عزّام الأمين العام لجامعة الدّول العربيّة ، والثّانية للأستاذ محمد البشير الإبراهيمي رئيس علماء الجزائر .

وغاب عنها العواذل ، وغفل عنها الرّقباء – إن شاء الله – فاسمحوا إليّ أن أخرج عن الوضع المتعارف في رسوم الخطاب ، فأنا بصفتي رجلا مسلما دينيّا أمثّل الإسلام في بساطته و سماحته و اعتباراته الرّوحيّة ، يخلو لي أن أخاطبكم بما جاء به الإسلام في آدابه الراقية و مثله العليا ، وهو وصف الأخوّة .»[1] في هذه الخطبة خرج الإبراهيمي عن المألوف في مقدّمته ، بدلا من بدئها بالبسملة والثّناء على الله او بالصّلاة على سيّدنا محمد صلّى الله عليه وسلّم على عادته القديمة، حيث بدأها بعبارات التّحية والتّقدير ثمّ التّمهيد للحديث عن الأخوّة وصفاتها المستمدّة من تعاليم الإسلام وهي مقدّمة شبيهة بمقدّمة المقال الأدبي فقد مهّد بذكر اللّيلة العظيمة وفضائلها.

ويختم الخطيب خطبته بكلام قصير يقول : « أيّها الإخوان إنّ الكلام اطويل، وإنّ الوقت لقصير فليكن آخر ما نتواصى به : الحقّ والصّبر والاتحاد، والسّلام عليكم ورحمة الله وبركاته.»[2] هذه الخاتمة جاءت كنصح وإرشاد للسّامعين، وتوصية لهم من الخطيب، حيث أنّ الكلام طويل لا يمكن الحديث عنه في تلك اللّيلة وإنّما جاء الحديث عن الاستعمار وغرضه الخبيث في امتلاك الجزائر فلو كتب عنه لجفّت الأقلام ولم ينهوا كلامهم على الشّعب الالتزام بالصّبر والاتّحاد بين الشّعوب العربيّة والغربيّة. ويجدر الإشارة هنا إلى الخصائص الّتي اعتمدها الخطيب فقدفاقت قدرته في توليد الأفكار وازدهار المعاني وتسلسلها « والمتتبّع للخطبة يدرك تمام الإدراك ، مدى التطوّر الّذي يحدثه الانفعال في لهجة الخطيب، والتدرّج من منحى فكري إلى منحى اجتماعي إلى منحى سياسي ، كمثل هذا المقطع وما يلحقه من هجوم سياسي عنيف يصبّ فيه الإبراهيمي...»[3]

[1]– الشّهاب ، مصدر سابق ، ص 464 .

[2]– محمد البشير الإبراهيمي ،" الآثار "، مصدر سابق ، ج2 ، ص 472 .

[3]– محمد عبّاس ، " البشير الإبراهيمي أديبا "، مرجع سابق ، ص 194 .

وممّا لا نغفل عنه أنّ هذه الخطبة ألقاها الإبراهيمي بإيجاز حيث لم يطنب ولم يتعمّق بشكل واسع مبالغ فيه ، فقد عالج الموضوع بإيجاز واختصار في أقصر صورة ممكنة لسهولة إيصالها للمستمع ، كما أنّ خطبته لا تخلوا من الاقتباس والتّضمين سواء من كتاب الله أو من التراث العربي القديم ممّا زاد في إحياء الفنّ العربي الأصيل بمقوّماته، وكلّ خطب الإبراهيمي لا يمكن أن تخرج عن الشّخصية الوطنيّة ومقوّماتها ، العروبة ، الإسلام ، والجزائر ، ومن الملاحظ أنّه كان يحسن الاعتناء باللّفظ من غير توظيف ألفاظ غريبة او عاميّة أو أجنبيّة، بل ساهم في رقيّ الألفاظ العربيّة الأصيلة ومراعاة لمقتضى الحال .

3- الخطبة الأدبيّة:

« لون من الخطابة في الأدب العربي الحديث ، وتشمل الأدب والتّاريخ والثقافة وما يتعلّق بها .» [1] وتسمّى أيضا بالخطابة الثقافيّة فهي تعنى بالفكر والثقافة بشكل عام وتقوم « على افتتاح دروس التّفسير أو ختمها ، وقد وقع بعض ذلك في تلمسان وقسنطينة ثمّ في تأبين الشّخصيات الأدبيّة أو إحياء ذكريات وفاتها ، وفي تدشين المدارس العربيّة الحرّة .» [2] وتشّكل الخطابة الأدبيّة الحصّة الكبيرة عند الإبراهيمي فهدفه من هذه الخطبة كان اصلاحي محض ، يقول في ذلك : « إنّ الاصلاح العلمي هو ناحية من نواحي الاصلاح الكثيرة الّتي يجب أن تعطيها جمعيّة العلماء المسلمين فضل اهتمام واعتناء ، و لم يحدث من الحوادث ما جعل اتجاه الجمعيّة إلى الإصلاح الدّيني أقوى لكان الإصلاح الدّني أول ما تعالجه و تبذل فيه جهودها، لأنه ألصق باسمها و أكثر ارتباطا بحرفة رجالها و

[1]- أنيس المقدسي ، " الفنون الأدبيّة وأعلامها في النّهضة العربيّة الحديثة " ، دار الطّبع للملايين ، بيروت ، ط 6 ، يونيو 2000 م ، ص 400 .

[2]- عبد الملك مرتاض ، " فنون النّثر الأدبي في الجزائر" (1931 – 1945) ،مرجع سابق ، ص 286 .

يكفينا دليلا على خطر الإصلاح العلميّ و قيمته أنّ أكبر عناصر الإصلاح الدّيني الذي لا يمتري في لزومه عاقل يستمدون قوته من شيء يسمى علما و من أشياء تسمى علماء»[1]

ولقد تميّز الإبراهيمي في هذا المجال باعتباره الأديب الملتزم بقضايا أمّته، كونه ألقى معظم خطبه في المناسبات الفكريّة والعلميّة والأدبيّة ومنها الخطبة الّتي ألقاها بمناسبة مهرجان شوقي، والخطبة الّتي ألقاها بالمجمّع العلمي بالقاهرة سنة 1961 فأحسن نموذج لخطبه خطبة " مهرجان شوقي"[*] يقول فيها : « حيّاكم الله وأحياكم، وأبقاكم للعروبة تحيون مآثرها وتجدّدون مفاخرها، والعربيّة توفون بعهودها، وتقومون بحقوقها، وتعمرون مواتها وتنشرون أمواتها، فتخطون للباقين طريق الأسوة الحسنة من سير الماضين، وتدلونهم على أقدار الرّجال ومواقف الأبطال .»[2]

في هذه الخطبة الّتي يفتتحها بالتحيّة والدّعاء بالحياة لحماة الوطن والعروبة وأصحاب الوفاء بالعهد وذوي الحقّ، فقد بدأ المقدّمة متشبّها بالمنهج القديم للخطباء، حيث وظّف السّجع في قوله : " حيّاكم الله وأحياكم وأبقاكم" تقريبا للأفكار والألفاظ وتقريبا للمعنى وبهذا يختلف عن منهج الخطبة الدّينية من حيث الشّكل .

وفي حديثه عن أحمد شوقي وإعجابه الشّديد به يقول : « ورأيي في شوقي معروف في المشرق والمغرب بين خلصائي من الأدباء وخلطائي من المتأدّبين، فلم أزل – منذ كان لي رأي في الأدب – أغالي بقيمة شوقي في الشّعراء السّابقين واللّاحقين، وربّما شاب هذا الرّأي منّي شيء من الغلوّ في مقامات الجدل والمفاضلة بين شعراء العربيّة وما كنت أتّهم نفسي بعصبيّة لشوقي، ولا كان النّاس

[1]– الإبراهيمي ،" الآثار"، ج1 ، مصدر سابق ، ص 69 .

[*] أقيم هذا المهرجان في شهر أكتوبر سنة 1958 ودعا المجلس العلمي للّغة العربيّة إلى إقامة هذا المهرجان في القاهرة ، وحضر فيه كبار الأدباء والكتّاب كمحمود عبّاس العقّاد ومحمد مندور وعلي جواد الطاهر .

[2]– الإبراهيمي ، " الآثار" ، ج5 ، مصدر سابق ، ص 226 .

يتّهمونني بتحيّز، لنّني كنت قوّاما على شعر شوقي استحضره كلّه استظهر جلّه، حتّى ليصدق على أنّني رواية شوقي بالمعنى الّذي كان يعرفه أسلافنا في الرّواية .»[1]

في هذه الفقرة يظهر الخطيب حبّه واقتدائه بأمير الشعراء أحمد شوقي، فقد حفظ كل شعره ووظّفه في جميع الخطب سواء دينيّة أو أدبيّة أو غيرهما ، واهتمامه هذا يفسّر مدى إعجابه الشّديد بشخصيّة شوقي واهتمامه البالغ بثقافة المشرق مكانتها العظيمة عنده، حتّى جعل نفسه راويا لشعر شوقي، وإعجابه بشعر شوقي جعله رافدا مهمّا في تطوير شخصّيته الأدبيّة.

ويمكن القول أنّ هذه الخطبة تزخر بالجانب الأدبي والنّقدي معا، حيث مدح فيها شوقي وعبّر عن إعجابه الشّديد بشعره، كما تحدّث عن مكانة اللّغة العربيّة من النّاحية الأدبيّة وانتقد المحتّل الفرنسي وأساليبه لمحو اللّغة العربيّة. وعليه فقد اعتمد الإبراهيمي الخطبة الأدبيّة لفضح مآمارات المستعمر وإفشاء مخطّطاته الّتي تصبو لمحو مكوّنات الهوية الوطنيّة وطمس معالمها حيث أنّ « الإبراهيمي كان موضوعيّا في خطبته حين وزّعها على فكرتين، فكرة المدح والثّناء، كما مرّ بالقارئ وفكرة الذّم والنّقد مثلما يجليها هذا النّص بشواهده، ويبدو أنّ الإبراهيمي يحترس في هذا النّقد احتراسا يحميه من المبالغة في شوائب النقصان لشوقي .»[2]

إذن فقد ساهم الإبراهيمي في تطوّر الخطابة وكان في طليعة الخطباء والبلغاء لتميّزه بفصاحة اللّسان وقوّة الحافظة وبراعة ذوقه وهو في كلّ ذلك ارتقى بأدب الخطابة وطوّرها مستمدّا أفكاره من أصالته الذّهبيّة.

ج–فنّ المقامة :

[1]– الإبراهيمي ، " الآثار " ، المصدر نفسه ، ص 227، 228 .

[2]– محمد عبّاس ، "البشير الإبراهيمي أديبا" ، مرجع سابق ، ص 201،202 .

هي فنّ نثري قديم، يمكن إدراجه ضمن الفنّ القصصي في الأدب العربي، أنشأه بديع الزّمان الهمداني في القرن الرّابع الهجري، ويعرّفها محمد غنيمي هلال يقول : « المقامة حكاية قصيرة يسودها حوار شبه درامي وتحتوي على مغامرات يرويها راوٍ عن " بطل" يقوم بتا وقد يكون هذا البطل شجاعا يقتحم أخطارا وينتصر فيها، ناقدا اجتماعيّا أو سياسيّا، وقد يكون فقيها متضلّعا في مسائل الدّين أو مسائل اللّغة –ولكنّه في حالاته كلّه تقريبا– متسوّل ماكر ولوع بالذّات مستهتر، يحتال للحصول على ممن يخدعهم، ثمّ هو دائما أديب مجيد في أسلوبه عن بديهة وارتجال...»[1]

وقد تميّز البشير الإبراهيمي بفنّ المقامات وكان غرضه من ذلك إصلاحي، حيث أراد بذلك نشر الوعي بين الشّعب الجزائري وإفاقته من ظلم الاستعمار الفرنسي، واستعمل اللّغة للتّعبير عن أفكاره الاصلاحيّة فاهتمّ بكتابة الفنون النّثرية كالمقالة والخطابة والرّسالة والمقامة وغيرهم فهو « رجل يعتمد على الحجّة الصّحيحة والمنطق المستقيم في دعوته وإقناعه من غير أن يعرف للأكاذيب والاختلافات والإشاعات والدّسائس والمؤامرات معنى أو يستخدمها بأي وجه من الوجوه .»[2]

ومن أمثلة مقامات الإبراهيمي وأحسنها مقامة " مناجاة مبتورة لدواعي الضرورة " وهي مناجاة لقبر صاحبه ابن باديس، يقول : « يا قبر أتدري من حويت ؟ وعلى أيّ الجواهر احتويت ؟ إنّك احتويت على أمّة في رمّة وعلى عالم واحد »[3] ، ويقول أيضا: « يا ساكن الضّريح، مت فمات اللّسان القوال، والعزم الصوال، والفكر الجوال، ومات الشّخص الّذي كان يصطرع حوله النّقد، ويتطاير عليه شرر الحقد، ولكن لم يمت الاسم الذّي كانت تقعقع به البرد، وتتحلّى به القوافي الشرد ، ولا الدوي الّذي

[1]– محمد غنيمي هلال ، " الأدب المقارن " ، دار العودة ، بيروت ، دط ، 1983 ، ص 223 .

[2]– محمد إبراهيمي الكتّاني ، " الإمام محمد البشير الإبراهيمي " ، مجلّة الوعي ، الجزائر ، دار الوعي للنّشر والتّوزيع ، العدد الثّاني ، 2010 ، ص 10 .

[3]– الإبراهيمي ، " الآثار" ، ج2 ، مصدر سابق ، ص 57 .

كان يملأ سمع الزّمان، ولا يبيت منه إلّا الحقّ في أمان ، مات الرّسم وبقي الاسم ، واتّفق الودود والكنود على الفضل والعلم .»[1]

في هذه المقامة البديعيّة يصوّر لنا الإبراهيمي ببراعة بيان و فصاحة لسان بعض الصّور التي تؤثّر في النّفس ، فيخاطب القبر و كأنه يدرك و يسمع و يتساءل حول من احتوى القبر بأسلوب حزين و ينعت صديقه ابن باديس بالجوهر الذي مات ، و كأنه يمثّل كلّ العالم و كلّ الأمّة فهو واحد و مكانته كبيرة عنده ، كأنه يتأسّف لفقدان الجزائر لهذا العبقري الفذّ فكلّ من يقرأ المقام و يحزن لفقدان العلّامة ابن باديس على الرّغم من مرور سنوات على وفاته . ثم يخاطب ابن باديس و كأنه لازال حيّا " يا ساكن الضّريح " ، و يتأسف لفقدان كلام العلّامة و فكره النّير ، فقد فقدت الأمّة علم من أعلامها و ناقد من نقادها ، لكن يتدارك الأمر و يقول :"لم يمت الاسم " فهو يذكّر بأعماله التي لازالت خالدة و أقواله و حكمه ستبقى عبر الزّمان و لا تندثر ، من خلال هذا الأسلوب السّاحر الذي أبكى العيون و جدّد الأسى ، جاء محمّلا بالعَبرات و الأوجاع لهذا الفقدان .

ثمّ يعترف أن ابن باديس لم يمت بل مات جسده فقط قائلا :«فلئن ضايقته الأيّام في حدود عمره فقد أبقت له منه الصّيت العريض ، والذّكر المستفيض و لئن سلبته الحلية الفانية فقد ألبسته من مآثر حلل التّاريخ الضافية ، و لئن أذاقته مرارة فقده فقد متّعته بقلوب أمّة كاملة ، ولئن حرمته لذّة ساعات معدودة فقد أسعدته به سعادة غير محدودة .»[2]

فمن شدّه حزنه على رفيق دربه يعتبره كأنّه لم يمت و إنّما أصبح جسده قديم فقط ولا يزال حيّا ، فلازالت أقواله خالدة و علمه لن يفنى ، و حتّى إن مات لن يندثر علمه مذهبه و سيظلّ خالدا عبر الزّمن و قد خلّف علما غزيرا لهذه الأمّة .

[1]– المصدر نفسه ، ص 58 .

[2]– الإبراهيمي ، المصدر نفسه ص 57 .

هذه المقامة التي كتبها و هو في المنفى في مدينة "أفلو"* و هي مقامة تزخر بكلّ معاني الأخوّة و الصّداقة بين العالمين يقول في ذلك محمد الغسيري :« ما رأينا في حياتنا رفيقين جمع بينهما العلم و العمل في الحياة ، و جمع بينهما الوفاء حين استأثر الموت بأحدهما مثلما رأينا إمامي النّهضة الجزائريّة ابن باديس و محمّد البشير الإبراهيمي رحم الله الميّت و مدّ في عمر الحيّ حتّى يحقق للجزائر أمنيتها»[1]

ولم تشمل المقامة على أسلوب السّخرية بل قد تفعّمت بالحسّ البكائي الجاد، كما غلب اللّفظ على المعنى بغرض الإثارة والتّشويق وإدهاش القارئ من خلال السّيطرة على وجدانه، كما يجدر الإشارة على أنّها المقامة كان غرضها اصلاحي ودعوة مباشرة للنّجاة بالمجتمع الجزائري من الجهل والفساد والاستيقاظ من الغفلة، وإن كانت الرّسالة تبدو تعبيرا عن أسى فقدان الصّديق . وقد أبدع الإبراهيمي في الشّعر كما أبدع في النّثر وإن لم يصلنا الكثير فقد بقيت مخطوطا ولم يحص لها شرف الطّباعة.

د- فنّ الشّعر :

كتب الإبراهيمي العديد من الأعمال الشّعرية تنوّعت بين التّعبير عن المناسبات الاجتماعية والإخوانيات ووصف بعض المنجزات كالطّائرة، ورصد الأحداث السياسيّة الّتي مرّت بها الجزائر، وكذلك التّعبير عن تجربة نفيه "لآفلو" ، والتّعبير عن القضيّة الوطنيّة . ومن أشهر قصائده : "أرجوزة في تعليم البنت " ، وقصيدة قالها في ثناء نجد وعلمائها، وقد نشرت له صحيفة "الشّهاب" عددا من القصائد منها : " إلى الآفاق " ، " في حفل ختم التّفسير " ، " لا ومبداك " ، " فقيد الإسلام " ، " كيف أسلو ولا أشدّ رحالي؟ " ، وكذلك قصيدة " تلمسان جدي " .

* أفلو : قرية نائيّة في جبل العمور من الجنوب الوهراني ، وهذه القرية هي التي اختارتها السّلطة العسكريّة الفرنسية منفى لكاتب هذه الكلمات في أوّل الحرب العالمية الثانية ، فقضى فيها ثلاث سنوات.

[1]-المصدر نفسه ، ص53 .

ومن أفضل قصائده " أرجوزة في تعليم البنت " *جاءت في 72 بيتا وقد اشتملت على ثناء عاطر على نجد وعلمائها وقد خصّ منهم العلّامة عبد اللّطيف آل شيخ-رحمه الله- يقول فيها:

« قَدْ كُنْتُ فِي حِنِّ النَّشَاطِ وَ الأَشْبَرِ كَأَنَّنِي خَرَجْتُ عَنْ طَوْرِ البَشَرْ

وَكُنْتُ نَجْدِيَّ الهَوَى مِنَ الصِّـــغَرْ أُهِيمُ فِي بَدْرِ الدُّجَى إِذَا سَفَـرْ

وَأَتْبَعُ الظَّبْيَ إِذَا الظَّبْـــــيُ نَفَرْ أَنْظِمُ إِنْ هَبَّ نَسِيمٌ بِسَـــــحَرْ

مَا رَقَّ مِنْ شِعْرِ الهَوَى وَمَا سَحَرْ وَاَقْطَعُ اللَّيْلَ إِذَا اللَّيْلُ اعْتَكَـــرْ

فِي جَمْعِ أَطْرَافِ العَشَايَا وَ البُكَرْ وَإِنْ هَوَى نَجْمُ الصَّبَاحِ وَ انْكَدَرْ .» [1]

في هذه الأرجوزة يحاول الإبراهيمي أن يعطي صورة حيّة لوقائع التّاريخ الصّحيحة من خلال الحديث عن قبيلة نجد* ، حيث يصف بعض المظاهر في نجد فهذه المرأة الّتي تسكن القبيلة الّتي تريد الخروج عن أمر القبيلة والّتي كانت ترى أنّ تعليم البنت أمر منكر فهذه البنت أو المرأة تريد الخروج عن هذا الفعل المنكر، والتعلّم من أجل التقدّم والتطوّر عن عادات القبيلة الجاهليّة والشّاعر في هذه الأرجوزة يقتبس من القرآن الكريم وكذلك يستلهم من قصص حدثت في التّاريخ الاسلامي .

كما نلمس قصيدة ذكرى 8 ماي 1945 الّتي نشرت في جريدة البصائر في ماي 1948، وكانت ذكرى للصّور الوحشيّة والقمعيّة الّتي مارسها المستعمر يقول فيها الإبراهيمي :

« ذِكْرَاكِ يَا يَـــــوْمَ تَحِرُّ فِي الأَحْشَا

* أرجوزة موجّهة لبعض علماء نجد استنهاضا لهم على تعليم البنت واستلافا لقلوبهم حتّى تقبل بهذا الأمر (المنكر) في رأيهم.

[1]- الإبراهيمي ، " الآثار " ، مصدر سابق ، ج2 ، ص 131 .

* قبيلة نجد : هي أحد أقاليم شبه الجزيرة العربيّة التّاريخية وأكبرها مساحة ، وهي منطقة معزولة نسبيّا ، وينقسم سكّانها إلى حضر يسكنون المدن والقرى وبدو رحّل متنقّلين في الصّحراء .

إِذَا أَقْبَلَ القَـــــوْمُ وحشا تَلَا وَحْشًا

رِيعُ الحِمَا فِيكَـــــا وَالأَهْلُ فِي غَفْلَةٍ

لَمْ يَعْفُ عَاكِفًـــــا طِفْلًا وَلَا طِفْلَـةً

لَهَفِـــي عَلَى هَاوٍ عَلَى شَفَـا العُمُرِ

لَهَفِي عَلَى مُرْضِعٍ قَدْ عَفَرَتْ أُمُّـــهُ» [1]

يصوّر الإبراهيمي مشهد مأساة وحسرة وألم للأهالي ، حيث مثّل لنا صورة الشّيخ الّذي أشرف على الموت فقتله المستعمر فخرّ على الأرض ساقطا، والرّضيع الّذي تركته أمّه بعد أن عذّبها المستعمر وقتلها وأضحت تحت التّراب، فهذا المستعمر الّذي لم يترك طفلا ولا طفلة ولا شيخا ولا أمّهات ، حيث كلّ هذه المشاهد المؤلمة تدعو للشّفقة والحسرة على الشّعب الجزائري ، وهي دعوة للإصلاح وتعزيز الفكر للمقاومة والردّ على ما وقع في مأساة 8 ماي ، والتّضحية بالنّفس والنّفيس من أجل هذا الوطن ويذهب بكلّ هذا إلى التّشجيع والإصلاح .

وقد كتب الإبراهيمي كذلك ملحمة رجزية في ستّة وثلاثين ألف بيت، منها ما هو مفقود بقي منها أبيات من قصيدة الإسلام* ذكرت في آثاره وهي تبلغ عشرات الآلاف من الأبيات، منها خمسة آلاف في الإسلام وحقائقه، يقول فيها :

«بُورِكَتْ يَا دِينَ الهُدَى مَا أَثْبَتَكَ حَقُّكَ بَتُّ المُبْطِلِيـــنَ وَبَتُّكَ

مَنْ ذَا يُجَارِيكَ ؟ وَأَنْتَ السَّيْـلُ وَالسَّيْـــلُ فِيهِ غَرْقٌ وَ وَيْلٌ

[1]– محمد البشير الإبراهيمي ، " الآثار " ، ج5 ، مرجع سابق ، ص 485 .

مَنْ ذَا يُسَارِيكَ وَ أَنْتَ النَّجْـــمُ وَالنَّجْمُ نُورُ الهُدَى، ورَجـــمٌ

شِعَارُكَ الرَّحْمَةُ وَ السَّـــــلَامُ لِلعَالَمِينَ، واسْمُكَ الإِسْـلَامُ»[1]

في هذه القصيدة ذكر الشّاعر فضل الإسلام على المسلمين، فهو دين الهدى والرّحمة والسّلام وهو دين الحق والعدل والكرامة وكلّ الفضائل والأخلاق الحميدة الّتي تساهم في التّربية الحسنة وهي دعوة إصلاح غير مباشرة للمسلمين والجزائريّين خاصّة، فالإسلام هو طريق التّربية السّليمة والأخلاق الحميدة.

هذه بعض النّماذج من شعر الإبراهيمي ونثره على العموم حيث لا يمكن الإلمام بكلّ أدب الإبراهيمي لغزارته و كثرته ، وقد تميّز أدب الإبراهيمي عموما بالفكر الإصلاحي ، باعتباره المصلح والإمام والأديب والمربّي والخطيب ، كما يعدّ الإبراهيمي مفخرة علماء الجزائر وأبرزها عظمة في نهضتنا الثّقافية والدبيّة فهو بمثابة حلقة وصل بين التراث العربي القديم والدب المعاصر الملتزم بالتّجديد في المبنى والمعنى، والحديث عن أدبه يتشعّب ولا يمكن الإلمام به كليّا فهو بحر ليس له ساحل، إضافة إلى ذلك كانت له بعض الآراء النّقديّة في بعض الشّعراء وأخرى في بعض القضايا كالشّعر الملحون واللّهجة العاميّة والتّعريب وغيرهم من القضايا النقديّة الّتي سنتطرّق لها في العنصر الموالي .

ثانيا : المسار النّقدي لدى البشير الإبراهيمي وتوجّهاته

عرف البشير الإبراهيمي من قبل القرّاء في العالمين العربي والإسلامي بالإمام و المصلح والفقيه، فهو أديب وناقد ولغوي ترك بصمات في عدّة مجالات منها المجال الأدبي والنّقدي، يقول عنه عبد الملك بومنجل : « يتميّز الإبراهيمي بأنّه الأديب الرسالي الموغل في الالتزام بقضايا أمّته ، ولعلّ هذا السّبب الرّئيسي الّذي جعله لا يهتمّ بقضايا الأدب والنقد، إذ لم نجد في آثاره من الكتابات الأدبيّة إلّا

[1]– الإبراهيمي ، " الآثار " ، ج3 ، مصدر سابق ، ص 484 .

خمسا، سجّل فيها آراءه وملاحظاته حول شاعرين إسلاميّين معارين له، حبيسين إلى لبه وهو شاعر الشّمال الإفريقي محمّد العيد آل خليفة.» [1]

والإبراهيمي لم يقتصر اهتمامه على مجالات معيّنة، بل كان ملمّا بكلّ ثقافة عصره ويروي ما يعجز غيره عن قوله، فقد كتب في المواضيع العلميّة والفكريّة والاجتماعية والسياسيّة والنّقديّة وهو لم يكن « أديبا متفرغّا لشؤون الأدب متخصّصا في الكتابة والتّأليف كما هو الحال عند أغلب أدباء العصر الحديث، وإنّما كان عالما مصلحا، وداعية مجاهدا، يستخدم الأدب وسيلة لتبليغ دعوته والوصول إلى مقصده وأحيانا يستخدم براعته اللّغويّة أداة للتّعبير الجميل دون أدنى تكّلف أو إجهاد.»[2]

ويعدّ الإبراهيمي من القلائل الّذين شرّحوا المجتمعات العربيّة والإسلاميّة، وكتبوا عن قضايا وطنهم معبّرين عن واقع المجتمعات المستعمرة، وقد عمل البشير الإبراهيمي على بعث روح الوطنيّة والتّجديد من خلال إحياء عوامل الخروج من الجهل والتخلّف والمضيّ نحو العلم والحريّة والنّهضة العربيّة والإسلامية، مستمّدا كلّ ذلك من واقع المجتمع الجزائري ومن التراث العربي القديم، فلقد ساهم في تحديد الخطوط العريضة للنّقد الجزائري، حيث طرح آراءه في كلّ من مجلّات " الشّهاب"، " البصائر" و" المنتقد"، فكان مهتمّا بالبصائر يكتب مقالاته فيها، « محاولا بناء صرح نقدي نستطيع تسميته بالنّقد التّمهيدي الّذي تضافرت جهوده، حينما حاول تذّوق النّص الشّعري بغية هزم العدوّ أوّلا وإعطاء الثقافة الجزائريّة اعتبارا وطنيّا ثانيا...»[3]

والإبراهيمي كان أوّل ناقد متميّز بتوجيه الشّعراء في قصائدهم أمثال "أحمد شوقي" ، و"محمّد العيد آل خليفة" ، وقد جمع الإبراهيمي آراءه النّقدية في كتبه " التراث الشّعبي والشّعر الملحون"، وفي معظم

---

[1]– عبد الملك بومنجل ، " النّثر الفنّي عند البشير الإبراهيمي " ، بيت الحكمة ، الجزائر ، ط1 ، جوان 2009 ، ص 84 .

[2]– المرجع نفسه ، ص 34 .

[3]– أم الخير قوال ، " النّزعة النّقدية عند البشير الإبراهيمي " ، إشراف أحمد حاجّي ، مخبر اللّسانيّات وتحليل الخطاب ، جامعة قاصدي مرباح ، ورقلة ، أعمال الملتقى الوطني لطلبة الدكتوراه التّكوين في الطّور الثالث ،ص 33 .

آثاره حيث ركّز في نقده على الإنسان والشّاعر بالأخصّ وعلى الشّعر الملحون عموما ، وعلى نقد الواقع الاجتماعي وتصحيح الموازين .

أمّا في حديثه عن نقد الإنسان فقد ركّز عليه البشير الإبراهيمي باعتباره عمود الحركة الاصلاحيّة فقد أولاه الاهتمام الكبير وذلك في اعتقاده أنّ كلّ اصلاح لابدّ أن يبدأ من الإنسان بذاته فهو ثمرة العمل الاصلاحي وروح الحياة ومصدر الوجود، وتميّز هذا الجانب بوضع العالم والمثقّف في الميزان النّقدي وهذا لم يكن ببعيد عن الاتّجاه النّقدي العام، وقد تمحور نقد الإنسان على ثلاث فئات: الإنسان العادي والمثقّف وفئة العلماء، الإنسان العادي الّذي انتقد فيه الإبراهيمي ذلك الجهل والخمول وقصر اليد على اللإنفاق وهذه كلّها دفعت به أن يكون مددا حقيقيّا لمشاريع الإحياء، والنّهوض الحضاري، والكلام عنه متناثر في ثنايا خطبه ومقالاته[1] بذلك فقد انتقد الإبراهيمي الإنسان الجاهل الّذي لا علم له بمشاريع الإحياء والنّهضة العربيّة والإسلاميّة فلا فائدة منه . أمّا في حديثه عن المثقّف أو المتعلّم وهو في نظره ذلك « الرّجل المهذّب المستنير الفكر المجوهر العقل المستقل الفكر في الحكم على الأشياء، الجاري في تفكيره على قواعد المنطق لا على أسس التّخريف، المطّلع على ما يمكن من شؤون العالم وتاريخه، الملمّ بجانب من معارف عصره. »[2] فهو ينقد هذا المثقّف المستنير الفكر بشدّة باعتبار أنّهم يعلمون بشؤون العالم ويقصّرون في أداء مهامّهم تجاه مجتمعهم ولم يوظّفوا هذا العلم الّذي ورثوه ويعلّمونه لغيرهم من الجهلة والعامّة الّذين ينظرون إليهم باحتقار على أنّهم لا يصلون إلى مستوى علمهم وفكرهم فواجبهم نحو هذه الأمّة أن ينزل إلى مخاطبة العامّي واستدراجه في كلّ اجتماع إلى بيان ما يجهله أو يلفظ فيه ويتخيّر لذلك المناسبات وأوقات الفراغ، وقد شاهدنا المثقّفين إذا اجتمعوا بعوام الأمّة وسمعوا سخافاتهم يقابلونهم بالضّحك والاحتقار، وهذه نقطة من نقط تضييع الواجب حيث يجب أداؤه.... لو عملوا بما ذكرناه؟ إذا لقاموا بالواجب وأوصلوا للعامي خيرا ما يعدّه خير

[1]– ينظر محمد بو عبد الله ، " النزعة النّقدية عند الإبراهيمي" ، جامعة وستمنستر ، لندن ، الملتقى المغاربي الأوّل في موضوع الإبراهيمي والحداثة ، ص 04 .

[2]– محمد البشير الإبراهيمي ، " الآثار " ، ج2 ، مصدر سابق ، ص 125 .

وأحسنوا إليه إحسانا يستحقّه[1] فهو إذن ينتقد هذا المثقّف الّذي لم يصلح حتّى ذاته ويحتقر العاميّ فواجبه إصلاح الأمّة، والعمل المشترك من أجل إعادة النّظر في أحوال الأمّة وتصحيحها نحو النّهضة والتطوّر الحضاري، وتثقيف الإنسان العاميّ وإيصاله لطريق العلماء .

أمّا ثالث فئة خصّها الإبراهيمي بالنّقد وأولاها النّقد المبرح وهي فئة العلماء والفقهاء فهم في نظره وبالمفهوم الدّيني في الإسلام « قائد ميدانه النّفوس وسلاحه الكتّاب والسّنة وتفسيرهما العملي من فعل النبيّ صلّى الله عليه وسلّم وفعل أصحابه وعونه الأكبر على الانتصار في هذا الميدان أن ينسى نفسه ويذوب في المعاني السّامية الّتي جاء بتا الإسلام ....وأن يقول الحقّ بلسانه ويحقّقه بجوارحه، وأن ينصره إذا خذله النّاس ، وأن يجاهد في سبيله بكلّ ما آتاه الله من قوّة.» [2]

والإبراهيمي في هذا الشّأن يخضع العلماء تحت منهجه النّقدي يليهم أشد النّقد باعتبار أنّهم أعلم بالدّين وبتعاليم الإسلام، فالعالم هو ذلك الّذي يخالط النّاس ولا يحتقرهم ، يقول الإبراهيمي في ذلك

أمّا الوسيلة الكبرى في نجاحه في هذه القيادة فهي أن يبدأ بنفسه في نقطة الأمر والنّهي فلا يأمر بشيء ممّا امر به الله ورسوله، ولا ينهى ممّا نهى الله ورسوله عنه حتّى يكون أوّل تارك له ، كلّ ذلك ليأخذ عنه النّاس بالقدوة الحسنة.[3] فالإبراهيمي يوجّه خطاب إلى العالم بالدّين أنّه يجب أن يطبّق أمرالنّهي والأمر على نفسه أوّلا ثم يفتي به إلى العامّة ، ولا يخرج عن طاعة الله ورسوله ويفتي من تلقاء نفسه حتّى يكون قدوة للنّاس جمعاء . والإبراهيمي ينقد هنا علماء الخلف كما سماهم هو يقول : ونعني بعلماء الخلف هذه العصابة الّتي تشهد آثارها ونسمع أخبارها من يوم بدأت الشّعوب الإسلاميّة في التفكّك والانهيار ، ولم يظهر لهؤلاء اثر في دفع البلاء بل كانوا أعوانا له وكانوا بعض

[1]– ينظر، المصدر نفسه ، ص 130 .

[2]– محمد البشير الإبراهيمي ، " الآثار" ، ج3 ، مصدر سابق ، ص 109 .

[3]– ينظر، المصدر نفسه ، الصّفحة نفسها .

أسبابه وإنّما نحدّد هذا التّحديد متساهلين...[1] يعتبرهم الإبراهيمي لا علماء دين ولا علماء دنيا فهم لم يفهوا الدّين على أنّه مجرّد صور خالية من الحكمة ، ولم يعالجوا في الدّنيا وسائل العيش والكسب وجمع المال كغيرهم من النّاس، فهذه الفئة هي بمثابة عصابة في المجتمع تعيش على حساب غيرها ، كما أنّهم فرّطوا في وظائف الدّين وأضاعوها .

-نقد الواقع الاجتماعي : و يعبّر عنه الإبراهيمي بخطبة مثيرة عنوانها «الإصلاح الدّيني لا يتم إلا بالإصلاح الاجتماعي »[*] و قد استوحى الإبراهيمي هذا العنوان من تجربته الطّويلة في دراسة المجتمع و سبل التّغيير فيه موظّفا منهجه النقدي يقول في ذلك : « و أنا رجل ممن هيأتهم الأقدار لخدمة هذه الأمّة في نواح دقيقة شريفة لا يقبل فيها الزّيف و لا يتسمح فيها الباطل ، من هذه النّواحي ما هو أمانة تؤدّى بلا تصرّف ، و منها ما يقتضي المسايرة و المجاراة لاستعداد الأمّة ، و هذا هو الجانب الاجتماعي ، و منه التّعليم .»[2]

و الإبراهيمي قد عمل على دراسة المجتمع و تشخيصه فانتهى بذلك إلى قوانين و دستور لابدّ من تطبيقه حتّى يتغيّر المجتمع ممّا هو فيه و تكون هذه النّتائج دستور العاملين يقول : « فأزعم أنّني جرّبت ودرست، وأنّني قرأت هذه الأمّة وفهمتها كما أقرأ الكتاب وأفهمه.... وقد خرجت من هذه الدّراسة الطّويلة بنتائج جليلة يجب أن تدوّن وأن تكون دستورا للعاملين، ولست بصدد تدوينها كالتّاجر الحذر من تقلّب الأسواق لا يصارف إلّا يدا بيد .»[3] والإبراهيمي لم يهتمّ فقط بالمجتمع الجزائري بل لم

---

[1]- ينظر ، المصدر نفسه ، ص 114 .

[*] خطبة الأستاذ الإبراهيمي التي ألقاها صبيحة اليوم الأول من أيّام الاجتماع العام الخامس لجمعة العلماء المسلمين الجزائريين الذي عقد بنادي الترقي بعاصمة الجزائر في سبتمبر 1936 ، جريدة البصائر ، السنة الأولى ، العدد 37 ، الجمعة 16 رجب 1355 / 2 أكتوبر 1936 .

[2]-البشير الإبراهيمي ، الآثار ، ج3 ، مصدر سابق ، ص 209.

[3]- المصدر نفسه ، ص 210 .

يفرّق بينه وبين العالم الإسلامي وذلك من خلال إقامة في المدينة المنوّرة ومكّة المكرّمة، وبها قد تدارس الإبراهيمي أوضاع المجتمعات العربيّة والإسلاميّة وطرق تغييرها مع مشاركة الفاعلين في أوطانهم وبلادهم ، « وقد عني الإبراهيمي عناية شديدة بتصحيح موازين الإدراك عند المجتمع، وتصحيح الإدراك لا يكون إلّا ببثّ روح الثّقة فيه وربطه بماضيه، وهو يراعي الحال والمآل في الأوضاع الّتي كان عليها المجتمع الجزائري ومن وراءه معظم بلاد العالم الإسلامي، أوضاع جعلت منه مجتمعا منقطعا عن تاريخه بفعل سياسة الاستعمار .» [1]

وممّا يدلّ على نقد الإبراهيمي لواقع مجتمعه، نجده ينكر على هذه الأمّة عدم بدلها المال على أمور العلم وما يتعلّق به، إذ أنّ هذه الأمّة تهلرب من المشاركة في الحفاظ على المشاريع العلميّة الّتي تحفظ شخصيّتها وفكرها ومبادئها، ويذهب الإبراهيمي في نقده للمجتمع إلى ذكر كافّة أفراد المجتمع الّذين أضعفتهم الظّروف القاهرة وأرغمتهم على الخروج من الجزائر، وقد قال فيهم الإبراهيمي : « امّة كاملة لو اجتمعت لعمّرت مدينة، أو كوّنت مملكة كمملكة شرق الأردن .»[2] وهو بهذا النّقد يشخّص العلل ويعطي الدّواء من خلال رسم السّبل السّليمة، والحلول القيّمة الّتي تنهض بتا الأمّة وتطوّر حضارتها العربيّة والإسلاميّة، ويذهب الإبراهيمي إلى نقد شبكة العلاقات الاجتماعية الّتي كان المجتمع يخضع لها، كما مارس نقدا على الحركات السياسيّة الّتي كانت نشطة آنذاك من نقد للسّياسة الاستعماريّة في الجزائر، ومن نقد للأوضاع في العالم العربي والإسلامي، فالنّقد الاجتماعي لا ينفصل عن النّقد السّياسي وربّما كان الغرض مختلفا من نقده للسّياسيّين الجزائريّين ونقده للسّياسيّين الفرنسيّين الّذي اعتبره جهادا ومقاومة وفصح السّياسة الفرنسيّة ومخطّطاتها، أمّا فيما يخصّ السياسيّون الجزائريّون فنقدهم عبارة عن إرشاد ونصح وتقويم للسّياسة الجزائريّة .

[1]– محمد بو عبد الله ، " النّزعة النّقدية عند البشير الإبراهيمي " ، مرجع سابق ، ص 10، 11 .

[2]– البشير الإبراهيمي ، " الآثار " ، ج2 ، مصدر سابق ، ص 442 .

ومن جهة جاء نقده للقضايا الدّينية الّتي كانت سائدة في المجتمع أو تصحيحه للعقائد، وقد قضى الإبراهيمي تقريبا حياته كلّها في هذا المجال حيث عمل على تجديد الدّين ونقد بعض الممارسات العقائديّة السّائدة في المجتمع آنذاك، من خلال إبراز بعض المفاهيم المتعلّقة بتنزيل النّصوص القرآنيّة ، وموضوع التّصحيح الدّيني أو العقائدي يتداخل نوعا ما مع موضوع نقد الإنسان ، إذ يذهب الإبراهيمي إلى ممارسة التّصحيح استنادا إلى نقد بعض الشّخصيّات العاملة كالعلماء والفقهاء بدورهم في المجال الدّيني .« والإبراهيمي في وهذا كشأن أمثاله ممّن رفعوا راية الإصلاح نراه ينطلق في فلسفته هذه من الحديث الشّريف(إنّ الله يبعث لهذه الأمّة على رأس كلّ مئة سنة من يجدّد لها أمر دينها)*مؤمنا بضرورة النّقد والتّصحيح الفقهي لهذا الواقع .»[1]

والإبراهيمي كان لا يزال في عمر العشرينات حينما أعاد رسم المفاهيم الدّينيّة الصّحيحة وحفظ القرآن الكريم وكتبا من التراث ، فهذا الرّجل النّقدي كان ذا ذاكرة قويّة وملكة نادرة في الحفظ ونقد المنهج والمصطلحات.

فحينما يذهب إلى التّصحيح الفقهي ومراعاة المصالح والمفاسد في المجتمع ، يذكر مشكلة الطّلاق وأثرها على المجتمع فيقول : « جهل المسلمون حقائق دينهم، وجهلوا الحكم المنطوية تحت أحكامه، ومن أسباب ذلك جفاف الفقه لأخذهم إيّاه من كتب تعلّم الأحكام ولا تبيّن الحكم، فأثر ذلك في النّفوس المتفقّهة- وهم مرجع العامّة في سياسة الإفتاء- آثارا سيّئة.»[2] وهنا يذهب الإبراهيمي إلى نقد الفقهاء الّذين لا يعملون مقاصد الشّريعة الإسلاميّة حينما يفتون إلى الشّعب ممّا سبّب جفافا في الفقه عندهم وهذا أدّى انتشار الفساد والأضرار في المجتمع كانهيار القيّم وفساد العلاقات بين النّاس، وضياع أفراد المجتمع . وفي حديثه عن مشكلة أخرى من المشاكل الاجتماعية وهي مشكلة"

* رواه أبو داوود وغيره ، وصحّحه أبو الحاكم .

[1]- محمد بو عبد اللّه، " النّزعة النقديّة عند البشير الإبراهيمي " ، مرجع سابق ، ص 06 .

[2]- محمد البشير الإبراهيمي ، " الآثار" ، ج3 ، مصدر سابق ، ص 298 .

الصّداق" ، موظّفا حسّه النّقدي في نبذ العادات الجديدة من المغالاة في المهر الّتي « أفضت بنا العوائد السيّئة فيها إلى سلوك سبيل منحرف عمّا تقتضيه الحكمة، وعمّا تقتضيه المصلحة وهو تنزّل الأغنياء للفقراء، فأصبح الفقراء يتطاولون إلى مراتب الأغنياء تشبّها بهم ومجاراة لهم .»[1]

فمن خلال هذه القضيّة يوظّف الإبراهيمي منهجه النّقدي في الإصلاح الاجتماعي بتبيان ما يقتضيه الحكم الشّرعي ، محاولا معالجتها في المحاضرات ودروس التّفسير وغيرها، ويربط هذا الموضوع بالطّلاق، حيث نقف أمام مناقشته للفقهاء بحسّه النّقدي حاملا كلّ معاني النّقد والشدّة للّذين جعلوا الصّداق عوض للتمتّع بالنّساء ، موظّفا ثقافته المتضمّنة لمناهج التّاريخ والتّحليل المكتسبة من التّعليم والتّثقيف والمطالعة .

بالإضافة إلى نقده للميدان الدّيني والاجتماعي ونقده للشّخصيّات، نلمس أهمّ نقد وجّهه الإبراهيمي من خلال معرفته وثقافته أل وهو النّقد اللّغوي، وتصحيح المفاهيم فهو يشمل موضوع الفصحى والعاميّة والتّعريب والشّعر الملحون وقضية التّصوير الفنّي في الشّعر الملحون. والإبراهيمي بدوره ركّز على اللّغة العربيّة الّتي اعتبرها وجمعيّة العلماء المسلمين المدخل الأساسي لتربية النّاشئة والأجيال وجعلها محور المواضيع الإصلاحيّة والتّربويّة لمواجهة الاستعمار الّذي عمل على طمس معالمها وضحدها، كما دافع عن الفصحى في الحديث والابتعاد قدر المستطاع عن العامية، و كان يتكلّم العاميّة في مجالسه العادية ولكن بأسلوب جذّاب بالنّكت والنّوادر الّتي ترفعها إلى مستوى اللّغة الفصحى فيرضى عنها العاميّ لما فيه من وضوح مؤثّر يهزّ مشاعره، ويقبل عليها الأديب لما تحمله في طيّها من أدب أصيل .[2]

[1]– المصدر نفسه ، ص 323 .

[2]– ينظر، عبد الملك قرل ، " أثر القرآن في الفكر النّقدي عند البشير الإبراهيمي " ، إشراف محمد طول ، جامعة تلمسان ، كلية الآداب واللّغات ، 2014 ، 2015 ، ص 57 .

والواقع أنّ الإبراهيمي لا يناقش الموضوع نقاشا عميقا فقد تحدّث عن الشّعر العاميّ في كتابه " التراث الشّعبي والشّعر الملحون " —معبّرا عن إعجابه ومعدّدا مميّزاته، يقول : « والشّاعر الموهوب شاعر، وإنّما اللّغة قواعد فإذا لم يستطع سبك المعاني في القوالب الفصيحة والألفاظ الصّحيحة صبّها في القوالب الّتي يفهمها النّاس .»[1]

فالإبراهيمي لم ينقد العاميّة بشكل عام بل بعض المفاهيم الدّخيلة على اللّغة الّتي تمحو اللّغة العربيّة فحين ذكر أنّه يحفظ الكثير من الشّعر العاميّ أو الأقوال العاميّة، فقد طبّق منهجه النّقدي من خلال تصحيح لغة المجتمع سواء في المدرسة أو الخطبة الجمعيّة فلا يكلّ من ذلك ولا يملّ، دعا إلى اعتبار الفصحى اللّهجة الأساسيّة في الحديث والكتابة ، يقول : « أمّا الفصحى فواحدة اختارها الله لوحيه فأخرجها من ظلمات الجاهليّة إلى نور القرآن وطوّرها الإسلام تطويرا لم يخرج بتا عن خصائصها ونقلها من البداوة إلى الحضارة، فأصبحت لغة علم وتشريع وأدب وفلسفة وجالت في كلّ أفق من آفاق المعرفة والتّفكير الإنساني .»[2]

كما عمل الإبراهيمي على إعادة تركيب المفاهيم والدّلالات، أي جاء ببعض الكلمات الّتي اتّفق عليها النّاس عموما، وأراد أن يعطيها دلالة أخرى وكل هذا أدرجه ضمن مقالته "كلمات مظلومة " معالجا موضوع الدّلالات بصفة جديدة .

كما عالج قضية أخرى وهي " التّعريب" الّذي هو « إذن تصحيح للوضع اللّغوي المفتعل الّذي خلّفه النّظام الاستعماري وبالتّالي فهو جزء من معركة التّحرير الوطني الكبرى ، كما أنّه تصميم لوضع لغوي

[1]– عبد الحميد هيمة ، " الآراء النّقديّة للشّيخ البشير الإبراهيمي في كتابه التّراث الشّعبي والشّعر الملحون في الجزائر " ، مجلّة الأثر ، العدد 17 ، جانفي 2013 ، ص 69 .

[2]– باعزيز بن عمر ، " من ذكرياتي عن الإمامين الرّئيسين عبد الحميد بن باديس ومحمد البشير الإبراهيمي " ، منشورات الحبر ، الجزائر ، ط2 ، 2007 ، ص 112 .

سليم يجب أن يستجيب لرغبات الشّعب العميقة .»[1] والتّعريب جاء نتيجة لمحاولات الاستعمار لطمس الهويّة العربيّة والقضاء على الدّين الاسلامي وذلك بمحاربة اللّغة العربيّة ، يقول الإبراهيمي في ذلك :

« مشكلة العروبة في الجزائر سببها الاستعمار الفرنسي، وهو عدوّ سافر للعرب وعروبتهم ، ولغتهم ودينهم الإسلام.... وبيان ذلك مع الإيجاز أنّ الاستعمار الفرنسي صليبي النّزعة فهو منذ احتلّ الجزائر عمل على محو الإسلام وعلى محو اللّغة العربيّة لأنّها لسان الإسلام.»[2] وكانت غاية الإبراهيمي من التّعريب هو رفع اللّغة العربيّة إلى لغة عصريّة مثلها مثل باقي اللّغات الأجنبيّة كالفرنسيّة والإنجليزيّة في مجال الحداثة والعصرنة، وإثبات الهويّة الوطنيّة العربيّة وترسيخ مبادئ الشّخصية الوطنيّة والتحرّر من السّلطة الاستعمارية .

كما عالج الإبراهيمي أهمّ قضيّة نقديّة وهي الشّعر الملحون من خلال كتابه " التراث الشّعبي والشّعر الملحون" ، ففي حديثه عن الشّعر العاميّ وإعجابه به وحفظه للكثير من أشعاره ، يقف موقف المدافع ويردّ على الرّافضين له يقول : « إنّ الموهبة الشّعريّة توجد في الشّعر الفصيح والعاميّ وقد يكون المرء أميّا لا يقرأ ولا يكتب لكن شاعريّته لا تتعطّل ن فينظم الشّعر باللّغة الّتي يفهمها والشّعر العاميّ لون من ألوان الشّعر الّتي تختلج فيه الأفكار واللّغات العاميّة لا تسموا إلى اللّغة الفصحى ، وقد سمعنا في بعض الشّعر العاميّ بالجزائر أبياتا لا تقلّ روعة في التّصوير عن مثيلاتها في الشّعر الفصيح .»[3]

---

[1]– عبد الحميد مهري، " التّعريب شرط للثورة الاقتصادية والثقافية والاجتماعيّة " ، مجلّة الأصالة ، الجزائر ، عدد 5 ، 1971 ، ص 06 .

[2]– البشير الإبراهيمي ، –محاضرة–" مشكلة العروبة في الجزائر " ، ندوة الأصفياء ، دار مصر للطّباعة ، مصر ، 1955 .

[3]–محمد البشير الإبراهيمي ، "التّراث الشّعبي و الشعر الملحون " ، تح عثمان سعدي ، دار الأمّة ، الجزائر، ط 1، 2010 ، ص24 .

و يذكر الإبراهيمي التّداخل بين الفصيح و العاميّ من حيث الأغراض ، يقول : « الشّعر العاميّ عندنا في الجزائر يشتمل على كثير من أغراض الشّعر الفصيح و في المواضيع التي يتناولها كالمدح و الهجاء و الفخر و الخلاف إنّما في العمق و قوّة التأثير .»[1] إذن فالشّعر الفصيح و العاميّ يتبوّآن مكانة واحدة ، و اللّغة العربية لا تقف عائقا بينهما ، كما يتداخلان من حيث الوزن و الإيقاع يقول في ذلك الإبراهيمي : « فليست هذه البحور المخترعة و لا ما نظم عليه من الشّعر قاصره على العوام بل هي شاملة للأدباء الأصليين ، فكثير منهم في الأندلس كان قبل نظمه لهذه الأزجال و الموشّحات إماما للشّعر العربيّ الفصيح .» [2]

و على الرّغم من دفاع الإبراهيمي عن الشّعر العاميّ و اعتباره مثل الشّعر الفصيح، يظهر عيوب الشعر العاميّ أو الملحون ، و يظهر الفروق بين لغة النّص الفصيح و لغة النّص العاميّ يقول :« إنّ من عيوب الشّعر الملحون أنه شعر إقليميّ ، يقصر فهمه على أهله دون غيره، و أنّ لكلّ إقليم من أقاليم الجزائر ، هو شعر ملحون خاص بتا لا يفهمه الإقليم الآخر ، ما يجعله حبيس الإقليم الّذي نشأ فيه ، أو الإقليم الذي يقاسمه نفس الطّابع و الميزان .»[3]

بالإضافة إلى توجيه النّاقد البشير الإبراهيمي آراء حول التّصوير الفنيّ في الشّعر العاميّ ، الذي اعتبره «ملكة موجودة في كلّ نفس شاعرة ، و إنّما التفاوت يوجد في اللّغات ، و اللّغات العامية دائما ضيّقة المدار عاجزة عن التّصوير الكامل .»[4]

---

[1]–المصدر نفسه ، ص24 .

[2]– المصدر نفسه ، ص25

[3]– المصدر نفسه ، الصفحة نفسها

[4]– المصدر نفسه ، ص 24

ويوضّح الإبراهيمي أنّ هذا التّصوير الفنّي في الشّعر العاميّ لا يقع إلّا في المناسبات والاحتفالات وغيرها من الحالات الطّارئة المتجدّدة ، أمّا فيما يخصّ المواضيع الدّائمة كالأمراض والانحلال الخلقي والرّذيلة لا يقولون فيها شعرا يقول الإبراهيمي : إنّ من فتور العزائم الّذي أصابنا في مبدأ نهضتنا هذا الفتور الّذي عقد ألسنة شعرائنا فهم لا يقولون الشّعر إلّا في المناسبات كالاحتفالات والاجتماعات أمّا الطوارئ الّتي تتجدّد كلّ يوم والأمراض الاجتماعيّة والأخلاق المرذولة، لا يهتمّون لها لذاتها اللهم إلّا إذا ذكرت عرضا في اجتماع فخيم أو مأدبة تكريم. [1]

إذن فقد اهتمّ البشير الإبراهيمي بالشّعر الملحون ووعيه العميق بدراسته ودعوته للحفاظ علي، كما عالج بعض القضايا النّقدية وعمل على تصويبها للمجتمع حيث لا يمكن الإلمام بأدبه ودراسته كلّه فهو بحر من الأفكار والمعلومات.

ثالثا : دراسة نموذج (قراءته االنّقدية للشّاعر أحمد شوقي)

ولم يقتصر اهتمام الإبراهيمي على قضية دون غيرها وإنّما ألمّ بكل ثقافة عصره من مجلّات اجتماعيّة وسياسيّة ودينيّة وغيرها، إضافة إلى نظرته وتقييمه لبعض الشّعراء كالشّاعر أحمد شوقي ، حيث قدّم قراءة نقديّة له موضّحا آراءه النّقدية واتّجاهه وقد أولى الإبراهيمي الشّاعر أحمد شوقي منزلة كبيرة من الاهتمام مقارنة مع غيره من الشّعراء وذلك لمكانته في العالم الّتي وصلها بفضل شعره.

والإبراهيمي ينطلق في قراءته من نزعته المحافظة الّتي كرّستها مدرسة الإحياء والبعث المرتبطة بالثّقافة التراثيّة الموروثة، حيث يثير إلى قضيّة الدّين في شعر شوقي حيث يقول : « ونعني بالدّين هنا ما هو أعمّ من الإسلام، فإنّ شوقي تغنّى بكلّ دين استحدث خلقا وثبت فضيلة إنسانيّة أو زرع محبّة بين النّاس ، أو أنشأ حضارة أو زاد فيها او ولد فنّا أو كان إرهاصا بدين أكمل .»[2]

[1]– ينظر ، عبد الحميد هيمة ، " الآراء النقديّة للشّيخ البشير الإبراهيمي" ، مرجع سابق ، ص 69 ، 70 .

[2]– محمد البشير الإبراهيمي ، " الآثار" ، ج5 ، مصدر سابق ، ص 201 .

ويقسّم دراسته وفق معايير تساعده في معالجة المواضيع، فمن حيث معيار التّسامح تجّاه المخالفين في الرّأي حيث يوضّح الإبراهيمي ويشدّد رأيه على شوقي الّذي :

« يحضّ أهل الأديان جميعا على التّسامح ، ويشدّد النّكير على من يتخذها أداة للتّنازع والإختلاف ، ويقول إنّها كلّها لله وإن لم تكن كلّها من الله ن وإنّه لأصدق صادق حين يقول :

خُلِقْتُ كَأَنَّنِي (عِيسَى)، حَرَامٌ عَلَى قَلْبِي الضَّغِينَةُ وَالشَّمَاتُ .» [1]

فقد مثّل هذه الأديان بالأفكار الّتي تختلف بين العقول وتنتج عنها وجهات نظر فتنفتح لها العقول وينبع التّسامح والتراحم. كما يشير الإبراهيمي إلى معيار آخر من معايير النّقد الأدبي وقراءة النّصوص، وهو معيار النّص لا النّاص حيث المقصود هنا حين تقييم النّاقد للعمل الأدبي يجدر الالتفات إلى النّص أو الأدب وليس النّظر إلى الأديب أو النّاص كما يوضّح في قراءته لشوقي قائلا : « والتديّن أثر الدّين في النّفس بمعنى إقامته لرسوم الدّين وشعائره ، لأنّنا في شغل شاغل عن ذلك بهذا الفيض المدرار الّذي يفيض به شعر شوقي في التّغالي بالإسلام وتاريخه وأمجاده... فيغشى في شعره ذكر الله وجبريل ومحمّد وإبراهيم وموسى وعيسى ومكّة والمدينة.» [2]

وفي حديثه عن إسلاميّة شوقي يمثّل الإبراهيمي بأحسن قول لشوقي في رثاء حسين شرين :

«أَبَدًا يَرَاهُ اللهِ فِي غَلْسِ الدُّجَى فِي صَحْنِ مَسْجِدِهِ وَحَوْلَ كِتَابِهِ.

ويقول في تعزية أهل دمياط :

بَنِي دُمْيَاطٍ مَا شَيءٌ بِبَاقٍ سِوَى الفَرْدُ الّذِي احْتَكَرَ البَقَاءَ

تَعَالَى اللهُ لَا يَبْقَى سِوَاهُ إِذَا وَرَدَتْ بَرِيَّتُهُ الفَنَاءَ

[1]- المصدر نفسه ، ص 202 .

[2]- المصدر نفسه ، ص 204 .

وَأَنْتُمْ أَهْلُ إِيمَانٍ وَ تَقْوَى فَهَلْ تَلْقَوْنَ بِالعَتَبِ القَضَـــاءَ .»[1]

وهناك أمثلة كثيرة يذكرها الإبراهيمي تدلّ على إسلاميّة شوقي وأخلاقه وفضائله وأركانه في مدحه ورثائه ، يقول : « وفي هذه القطع منازع لطيفة في فقه الدّين تدلّ على ما لشوقي – رحمه الله– من رسوخ في فهم حقيقة الدّين ومعنى الدّين ن حيث يقول في مناجاة شعريّة لربّه هي ثمرة كمال إيمتنه وخوفه منه :

وَيَا رَبِّ هَلْ تُغْنِي عَنِ العَبْدِ حَجَّةٌ وَفِي العُمْرِ مَا فِيهِ مِنَ الهَفَوَاتِ.

وَتَشْهَدُ مَا آذَيْتَ نَفْسًا وَلَمْ أَضُرْ وَلَمْ أَبْلُغْ فِي جَهْرِي وَلَا خَطَرَاتِي .»[2]

وهذا يدلّ دلالة واضحة على إيمان شوقي وإقامته للدّين على طريقة الإسلام وكما بعث به محمد صلّى الله عليه وسلّم، ويقول عنه الإبراهيمي : « أمّا تمجيد الإسلام فلا شاعرا عربيّا قبل شوقي مجّد الإسلام وجلا فضائله ومحاسنه كما مجّد وجلا شوقي ، ولا نعرف شاعرا بعد شرف الدّين البوصيري دافع عن حقيقة الإسلام كما دافع شوقي ...»[3]

ولقد درس الإبراهيمي شعر شوقي، حيث وقف على النّصوص السّابقة له وتذوّق مواطن التفوّق والإسلاميّة عند شوقي ، وقارنها مع غيره من الشّعراء، حيث يقول مبديا رأيه في شوقي : « ورأيي في شوقي معروف في المشرق والمغرب بين خلصائي وخلطائي من المتأدّبين، فلم أزل منذ أن كان لي رأي في الأدب أغالي بقيمة شوقي في الشّعراء السّابقين واللّاحقين...» [4]

---

[1]– المصدر نفسه ، ص 205 .

[2]– المصدر نفسه ، ص 206 .

[3]– المصدر نفسه ، ص 203 .

[4]– محمد البشير الإبراهيمي ، " الآثار" ، ج5 ، مصدر سابق ، ص 207 .

إذن فقد أسهم الإبراهيمي في الإلمام بعدّة عناصر من خلال قراءته لشوقي، بداية من النّص والنّاص من خلال الاستناد على الأدب الإسلامي ونقده وإلى كلّ وسائله ومفاهيمه مستلهمة وظيفة النّقد الأدبي وهدفه، من حيث تقييم اللعمل الأدبي وبيان قيمته، وهذه القراءة هي أيضا إطّلاع على مجال النّقد الأدبي من مبادئ ومفاهيم واتّجاهات نقديّة قديمة كانت أو حديثة .

خـــــاتـمـــــة

لعلّنا في هذه الخاتمة نخلص إلى أهمّ مميّزات هذه النّزعة النّقديّة و ما تضمّنته من معالم هذا المنهج النّقدي و قضاياه ، و الّتي عبّرت عن نزعة الإبراهيمي في النّقد عن طريق مقالاته المتنوعة في إتجاهاتها المختلفة، فقد قدّم آراءه الإصلاحية وجّهت الشّعراء نحو التّصحيح الفنّي و التّمييز بين جيّد الشّعر من رديئه ، و يمكن أن نستخلص النّتائج التّالية :

أوّلا : أدب جمعيّة العلماء المسلمين يعدّ ثروة للحياة الأدبيّة ، حيث أسهمت بشكل كبير في نهضة الحركة الأدبيّة الجزائريّة عن طريق وسائل عدّة كالتّوجيه و الإرشاد و إنشاء المدارس الحرّة و الجمعيّات و الصّحافة و النّشر فيها ، و تعبير الكتّاب عن مواقفهم و آرائهم في الجرائد و كذلك في الملتقيات .

ثانيا : إنّ المتتبّع لجهود الإمام البشير الإبراهيمي يجد أنه أسهم في إثراء الحياة الأدبيّة من خلال الآثار الكبيرة الّتي خلّفها في مختلف المجالات ، فقد خلّف إنتاجا غزيرا تشهد له الأمّة ككتابه "الآثار" بمختلف أجزائه الّذي يحوي بحرا من المواضيع .

ثالثا : اتّسم الإبراهيمي في نقده بالواقعيّة حيث أنه لم يكن بالموهم للشّعب الجزائري بالأحلام و الخيال و يترك آمالهم معلّقة ، و لم يتّصف بالعلّو و المثالية في النّقد بل عمل على تقديم الحلول المناسبة لعلاج آلام المجتمع من البساطة إلى المثالي كلّ حسب حاجته .

رابعا : موضوعيّة الإبراهيمي في النّقد ، فقد كان ينقد النّص و الناصّ و المفاهيم و كلّ ذلك لا لخصومه مع الكاتب أو الشّاعر و إنّما هو تحريك لحالة الرّكود الذهني الّذي أصاب الأمة ، فهو بمثابة محرّك للإصلاح الاجتماعي لا على مستوى الأمة فقط بل العالم الإسلامي ككل ، حيث أنه كان على إحاطة تامّة بكلّ أمراض و علل المجتمع فكان يعمل على إيجاد الدّواء لهذا الدّاء من أجل بناء صرح اجتماعي على أسس سليمة و استنهاض عقولهم و إنارتها بعدما انغلقت و استسلمت للآخر ، فهذا قد جعله متميّزا في فكره و نقده .

خامسا: العمليّة النّقديّة التّقيميّة عند الإبراهيمي لا تستغني عن الجوانب المضمونيّة من حيث تجسيدها لعقيدة الإسلام و الالتزام بها و تحقيقا لخصوصيّة الأمّة .

سادسا: تعامل الإبراهيمي مع التّراث باعتباره مكوّن واحد لا فرق بين علوم القرآن و علوم اللّغة و الفقه وقد ساعدته في هذا ثقافته الواسعة و منطقه و قدرته على توظيف التّراث في خدمة منهجه النّقدي.

سابعا: قراءة الإبراهيمي لشعر شوقي ساهمت في تعزيز الرّصيد النّظري و التّطبيقي للأدب والنّقد، وتساهم في التّعليم والتّثقيف وتعزيز قدرة النّاقد والأديب في إنتاج النّصوص والإبداع والتّجديد بصفة عامّة.

ثامنا : إنّ الإبراهيمي كان بحقّ مدرسة أدبيّة واسم حلّق في آفاق الفكر والأدب والإصلاح وقد تمكّن من خلال التّعبير عن منهجه النّقدي من حلّ مشاكل الصّراع الثّقافي والدّيني في العالم الإسلامي ، فحمل في طيّاته معاني قويّة وأفكار وآراء عملاقة لإحياء الدّين واللّغة العربيّة ، فهو مازال بحاجة إلى من ينفض الغبار عن أفكاره ويتتبّع طريقه لنولّد مواطن الإبداع والخلق فيها ، واستنطاق منهجه النّقدي والعمل وفق معاييره.

وفي الأخير، الحمد لله على التّمام والشّكر له على الإنعام وصلّى الله وسلّم على سيّدنا محمد خير الأنام والحمد لله ربّ العالمين.

وما التّوفيق إلّا من عند الله .

ملاحق

نبذة عن حياة البشير الإبراهيمي :

1- نشأته:

هو محمد البشير بن محمد السّعدي بن عبد الله بن عمر الإبراهيمي، يمتدّ نسبه إلى قبيلة عربيّة ذات أفخاد وبطون تعرف " بأولاد إبراهيم" من نواحي مدينة سطيف سابقا والضّواحي الشّرقية لولاية برج بوعريريج حليّا ، ولد يوم الخميس 14 شوّال 1306هـ ، 14 جوان 1889 .[1]

وأحسن ترجمة لسيرة الشّيخ محمد البشير الإبراهيمي ما قاله عن نفسه : « أنا محمد البشير الإبراهيمي ولدت يوم الخميس عند طلوع الشّمس في الرّابع عشر من شهر شوّال سنة ستّ وثلاث مائة وألف ، ويوافق الثّالث عشر من يونيو سنة 1889 ، كما رأيت ذلك مسّجلا بخطّ جدّي لأبي الشّيخ عمر الإبراهيمي – رحمه الله- في سجّل أعّده لتسجيل مواليد الأسرة ووفياتها .» ويتحدّث عن نسبه فيقول : « قبيلتنا تعرف بأولاد إبراهيم بن يحي بن مساهل وترفع نسبها إلى إدريس بن عبد الله الجدّ الأوّل للأشراف الأدارسة.» ويقول : « ونسبنا هذا مستفيض بين سكّان الأطلاس أوراس وصفوحه الجنوبيّة إلى الصّحاري والشّماليّة إلى التّلول .» [2]

« حفظ القرآن الكريم وهو ابن الثّالثة من عمره، وذلك حسب تقاليد العائلة على يد عمّه محمد المالكي الإبراهيمي، ولما توفيّ هذا الأخير اضطرّ الفتى الإبراهيمي (14 سنة) إلى أخذ مكانه في تدريس تلامذته مدّة 06 سنوات ، وعندما بلغ العشرين من عمره استدعي لأداء الخدمة العسكريّة الإجباريّة للجيش الفرنسي فهرب متخفّيا إلى مصر، وبقي فيها ثلاثة أشهر ، التقى فيها بجمع من

---

[1]- محمد الصّالح الصدّيق ، " شخصيات فكريّة وأدبيّة –هذه مواقفنا من ثورة التّحرير الجزائريّة – " ، شركة دار الأمّة ، الجزائر ، 2002 ، ص 72 .

[2]- محمد البشير الإبراهيمي ، " أنا" ،مجلّة مجمّع اللّغة العربيّة ، القاهرة ، 1966 ، م21 ، ص 272 .

علماء الأزهر الكبار والشّعراء أمثال أحمد شوقي وحافظ إبراهيم .» [1] وبعدها هاجر إلى المدينة المنوّرة سنة 1911م ليلتحق بمن كان فيها من أهله وفي ذلك يقول : « هاجرت بدوري وأنا في عنفوان الشّباب إلى المدينة المنوّرة لألتحق بمن كان لي فيها من أهل إخواني، فأعانني جوّها وطول الإقامة فيها على الدّراسة والبحث والأخذ عن بعض شيوخها ثمّ المساهمة في حلقات نشر العلم بين طلّابها .» [2] وفي سنة 1913 « رحل مع والده إلى دمشق وعمل فيها بالتّدريس في المدارس الأهليّة العربيّة ثم أستاذا للآداب العربيّة وتاريخ اللّغة وأطوارها وفلسفتها بالمدرسة السّلطانيّة الأولى .» [3]

وما إن جاءت سنة 1920 حتّى عاد إلى الجزائر ، « فاتّفق بع الشّسخ ابن باديس على ضرورة إحداث التّغيير والنّهوض بالأمّة الجزائريّة والحفاظ على مقوّماتها فكان تأسيس جمعية العلماء المسلمين في 05 ماي 1931 ، حيث أنتخب الإبراهيم نائبا لرئيسها.» [4]

كان للشّيخ الإبراهيمي « نشاط صحفي إذ ساهم في الكتابة على صفحات صحف الجمعيّة كالشّهاب والبصائر ومواقفه السّياسيّة المقاومة والمعادية للسّياسات الاستعماريّة ، وبعد وفاة عبد الحميد بن باديس أوكلت له رئاسة الجمعيّة حيث قادها بمهارة وجديّة وعمل على توسيع نظاقها حتّى توقّفت عن النّشاط السّياسي سنة 1956 أثناء الثّورة. وعند اندلا ع الثّورة التّحريريّة كان من الأوائل الذّين أعلنوا دعمهم ومباركتهم لها ، من خلال نداء ألقاه في 15 نوفمبر 1954 بالقاهرة .»[5]

---

[1]– رابح لونيسيوآخرون ، " تاريخ الجزائر المعاصر" ، دار المعرفة ، الجزائر ، ج2 ، ص 100 .

[2]– محمد إبراهيم الكتّاني ، " الإمام محمد البشير الإبراهيمي " ، دار الوعي ، مجلّة الوعي ، الجزائر ، ع 2 ، 2010 ، ص 07

[3]– باعزيز با عمر ، " من ذكرياتي عن الإمامين الرّئيسين عبد الحميد بن باديس والبشير الإبراهيمي " ، مرجع سابق ص 101 .

[4]– محمد الصّالح الصّديق ، " شخصيّات فكريّة وأدبيّة " ، مرجع سابق ، ص 76 ، 77 .

[5]– رابح تركي عمامرة ، " الشّيخ بن باديس رائد الإصلاح الاسلامي والتّربية في الجزائر " ، وزارة المجاهدين.، الجزائر ، ط 05 ، 2001 ، ص 170 .

2- وفاته:

توفيّ الشّيخ البشير الإبراهيمي يوم 19 ماي 1965 فودّعته جموع الشّعب الّتي جاءت من كلّ أنحاء الوطن إلى مثواه الأخير بمقبرة سيدي امحمّد بالعاصمة [1] ، حيث دفن يوم الجمعة 21 ماي .

وفارق الدّنيا عن عمر يناهز ستّة وسبعين عاما، وكان ليوم وفاته الأثر البليغ في نفوس جماهير الشّعب الجزائري، ونعاه العالم العربي والإسلامي، منكسا معلنا حداده. [2]

فقد أفل نجم من نجوم الجزائر أضاء بنوره السّاطع مدنها وقراها ، جبالها وسهولها ففي مثل هذا اليوم ، شيّعت الجزائر العربيّة المسلمة ، في موكب شعبي منقطع النّظير بطلا من أبطالها البارزين الّذين جاهدوا لتكون كلمة الله هي العليا .

3- من آثاره :

كان له العديد من المؤلّفات حيث كان من أعضاء المجامع العلميّة العربيّة بدمشق وبغداد ، وله شعر إسلامي ، بلغ حوالي 23 ألف بيت ، كان ينشره في مجلّة البصائر الّتي كان رئيس تحريرها ، ولم تطبع الكثير من مؤلّفاته إلّا بعد وفاته ، حيث يقول : « لم يتّسع وقتي للتّأليف والكتابة مع هذه الجهود الّتي تأكل الأعمار أكلا ، ولكنّني أتسلّى بأنّني ألفت للشّعب رجالا ، وعملت لتحرير عقوله تمهيدا لتحرير أجساده ، وصحّحت له دينه ولغته ، فأصبح مسلما عربيّا ، وصحّحت له موازين إدراكه ، فأصبح إنسانا أبيّا ، وحسبي هذا مقرّبا من رضى الرّب ورضى الشّعب .»[3]

---

[1]- رابح لونيسي وآخرون ، " تاريخ الجزائر المعاصر " ، مرجع سابق ، ص 130 .

[2]- محمد عبّاس ، البشير الإبراهيمي أديبا " ، مرجع سابق ، ص 62 .

[3]- محمّد البشير الإبراهيمي، " أنا " ، مجلّة الثّقافة ، ع 87 ، شعبان ، رمضان ، 1405 هـ ، مايو ، يونيو ، 1985 م ، الجزائر ، وزارة الثّقافة والسّياحة ، ص 288 .

ويمكن تقسيم مؤلّفات الإبراهيمي إلى ثلاثة أقسام : مؤلّفات في الدّراسات الأدبيّة ، وأخرى في الدّراسات اللّغوية وكذلك ومؤلّفات في الدّراسات الإسلاميّة :

أوّلا : في الدّراسات الأدبيّة

1- عيون البصائر : هو الكتاب الوحيد الّذي طبع في حياة الإبراهيمي بعد الإستقلال ، وكانت الطّبعة بالقاهرة سنة 1963 ، وطبع مرّة ثانية بالجزائر سنة 1971 في مجلّد من طرف الشّركة الوطنيّة للنّشر والتّوزيع ، وهو يضمّ في طيّاته مجموعة من المقالات السّياسيّة و الاجتماعيّة و الأدبيّة و الفكريّة و غيرها التي كان الإبراهيمي يفتتح بتا جريدة البصائر في سلسلتها الثّانيّة . [1]

2-رواية كاهنة الأوراس : و هي من النّثر الجزائري الحديث و لم يطبع منه شيء .

3- رواية الثّلاثة : و هي عبارة عن مسرحيّة شعريّة تشتمل على نحو ٨٨١ بيتا ، كتبها الإبراهيمي على الآلة الراقنة و قدّما لها و علّق عليها بشرح ممّا غضّ من لفظ ، سنة 1392 هـ - 1972 م كما طبعتها الشركة الوطنيّة للنّشر و التّوزيع في نهاية كتاب الآثار للشّيخ محمد البشير الإبراهيمي "الجزء الأول 1398 هـ - 1978 م " .

4- رسالة الضّب : و هو بحث علمي أدبي يتناول فيه الكاتب وصفا دقيقا لحقائق علميّة عن أصل هذا الحيوان و عن فصيلته و عن أسلوب حياته و صفاته و تكاثره ... و كان من بين دوافع هذا البحث أن رجلا من جلساء الإبراهيمي زاره مرّة في المنفى بمدينة " أفلو " و معه ضبّ محنّط أهداه لأحمد بن البشير الإبراهيمي ، فأوحت للإبراهيمي ثقافته العلميّة و الأدبيّة أن يكتب حول هذا الموضوع [2].

---

[1]- محمّد عبّاس ، "البشير الإبراهيمي أديبا " ، مرجع سابق ، ص71

[2]-المرجع نفسه ، الصفحة 72 .

5- كتاب آثار الشّيخ محمد البشير الإبراهيمي : و هو يشتمل على ما كتبه في المرحلة الأولى من حياته في الحقل الوطني بعد عودته من المشرق العربي في العشرينات من هذا القرن إلى نهاية الثلاثينات و هذ الكتاب تتوزّعه مواضيع اجتماعية و سياسيّة و ثقافيّة و أدبيّة .[1]

6- كتاب آثار محمد البشير الإبراهيمي: هو الجزء الثّالث الّذي يتناول مقالات أدبيّة واجتماعيّة وسياسيّة وصحفيّة وقرارات جمعيّة العلماء وهو يحتوي على بعض كتابات الإبراهيمي الّتي نشرها في جريدة البصائر في الفترة مابين 1947 م و 1956 م .[2]

ثانيا : في الدّراسات اللّغوية

يحتوي في هذا المجال على مجموعة من الكتب والرّسائل :

1- كتاب بقايا فصيح العربيّة في اللّهجة العاميّة بالجزائر : وقد تتبّع فيه الإبراهيمي دراسة اللّهجة السّائدة في مواطن بني هلال بن عامر .[3]

2- كتاب بقايا النقايات والنّفايات في لغة العرب : جمع فيه صاحبه كلّ ما جاء على وزن فعالة من مختار الشّيء ، أو مرذوله .

3- كتاب أسرار الضّمائر في اللّغة العربيّة .

4- كتاب التّسمية بالمصدر .

5- كتاب الصّفات الّتي جاءت على وزن " فَعَلَ" بفتح العين .

6- كتاب نظام العربيّة في موازين كلماتها.

---

[1]-المرجع نفسه ، ص 74، 75 .

[2]- المرجع نفسه ، ص 75 .

[3]- المرجع نفسه ، ص 70 .

7- كتاب الأطراد والشّذوذ في العربيّة .

8- رسالة : في الفرق بين لفظ المطرد والكثير عند ابن مالك .

9- رسالة : في ترجيح أنّ الأصل في بناء الكلمات العربيّة ثلاثة أحرف لا اثنان .

10- رسالة : في مخارج الحروف وصفاتها بين العربية الفصيحة والعاميّة . [1]

ثالثا : في الدّراسات الإسلاميّة

لم يطبع من هذا المجال كتاب ، اهتمّ الإبراهيمي –رحمه الله- بالدّراسة الإسلاميّة اهتماما كبيرا وجعلها جوهر المبدأ الإصلاحي ، شأنه في ذلك شأن الإمام عبد الحميد بن باديس رحمه الله وغيره من روّاد الإصلاح في العالم العربي والإسلامي ، ولم يخصّص الإبراهيمي لهذه الكتابات كتبا مستقلّة للدّراسة الإسلاميّة إلّا كتابين لم يطبعا بعد وهما : [2]

1- كتاب حكمة مشروعيّة الزّكاة في الإسلام: وهو يعدّ من أوّل كتابات الإبراهيمي في التّأليف، بدأ في كتابته أثناء إقامته بدمشق، في مستهلّ العشرينيّات وأتّمه بعد فترات متقطّعة.

2- كتاب شعب الإيمان: جمع فيه الأخلاق والفضائل الإسلاميّة . [3]

4- من أقوال الإبراهيمي :

- « إنّ شباب الأمّة هو الدم الجديد في حياتنا، فمن الواجب أن يصان هذا الدم عن أخلاط الفساد ، ومن الواجب أن يتمثّل فيه الطهر والفضيلة والخير » .

---

[1]- المرجع نفسه ، ص 71 .

[2]- المرجع نفسه ، ص 75 .

[3]- المرجع نفسه ، ص 76 .

- « إنّ الدّين يأمرنا بالإتحاد والتّعاون والتّآزر ويفرض علينا القتال والنّضال ، كلّما حنيف على حرّيتنا أن تسلب ، وعلى كرامتنا أن تهدر ، فكيف يتّفق أن يكون للاستعمار بقاء مع هذه المبادئ العظيمة الّتي قرّرها الدّين ؟ »

- «إنّ الحياة حسناء , مهرها الأعمال العامرة فلا تسوقوا لها الأقوال الجوفاء , وإنّ دينكم ينهاكم أن تأخذوا الأمور بالضّعف والهوينا , فخذوها بالقوّة والغلاب , وإن أربع خلال ارتضاها الله لعباده وأمرهم بها : الصّبر والمصابرة والمرابطة والتّقوى» . [1]

- ومن أقواله شعرا في اللّغة العربيّة :

نَغَارُ عَنْ أَحْسَاسِنَا تَمْتَهَنُ و الحُرُّ عَنْ مَجْدِ الجُدُودِ مُؤْتَمِنُ

وَلُغَةُ العُرْبِ لِسَانُ مُمْتَحَنْ إِنْ لَمْ يَذُدْ أَبْنَاؤُهُ عَنْهُ ، فَمَنْ ؟

[1]- البشير الإبراهيمي ، " الآثار" ، ج3 , مصدر سابق , ص 413 .

الجزائر، 1949

الشّكل 1 يمثّل العلّامة محمّد البشير الإبراهيمي في الجزائر سنة 1949 م

تلمسان، 1937

الشكل 2 يمثّل العلّامة محمّد البشير الإبراهيمي في مدينة تلمسان سنة 1937 م

N°44

ثمن النسخة ٥ سانتيما

السنة الأولى عدد ٤٤

البصائر

الاشتراكات

عن سنة ٢٥ ف

عن ستة أشهر ٢٥ ف

للتلاميذ ٢٥ ف

El-Bassaïr

Journal Religieux

5, Place du Gouvernement

ALGER

GERANT

EKBIRADDINE Mohamed

المراسلات

باسم مدير الجريدة و رئيس تحريرها

الطيب العقبي

(نادي الترقي)

رقم ٩ بطاقة المكومة (الجزائر)

صاحب الامتياز

الشيخ البشير الابراهيمي

Tayeb El-Okbi

لسان حال جمعية العلماء المسلمين الجزائريين

الجزائر يوم الجمعة ٥ رمضان ١٣٥٥

تصدر يوم الجمعة من كل اسبوع

الموافق ليوم ١٠ ديسمبر ١٩٣٦

شهر الصوم

وسكانت هذه السطوة التي تزعها الاسلام عن كل ما قذه من القذارة والامراض عن كل ما اعتاده من احتقار الفضول والعمل وختم عليها ارقوف عند ما حل والابتعاد عما حرم - ظهرت بهذه البقعة التي يسمى فيها بالقلب والشريف وارضيع والرجل والزاد ولا يكاد يسلم من شرها الا من اوتيه العبر او عصاره الضعف والقلة .

الشكل 3 يمثّل العدد 44 من جريدة البصائر السنة الأولى في مقالة عن شهر الصوم

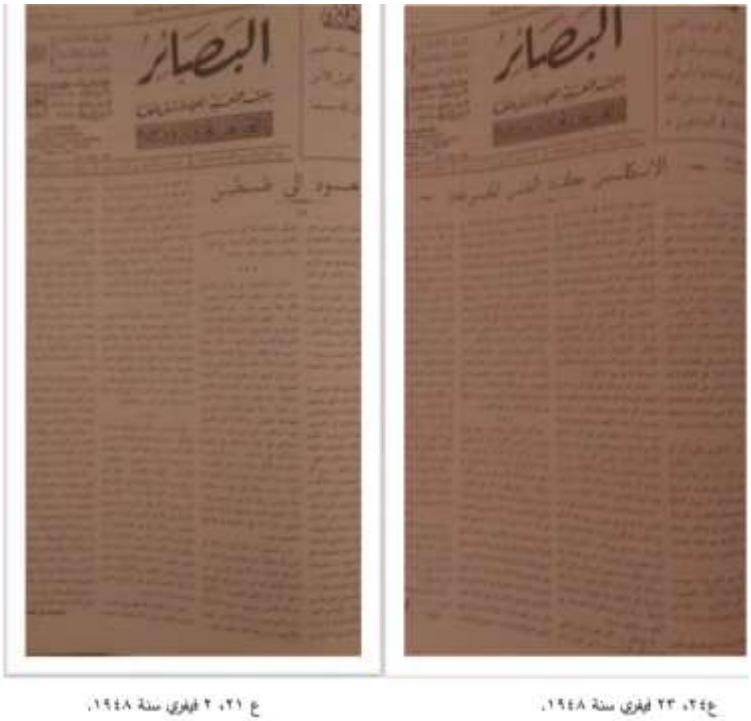

البصائر

ع ٢٤، ٢٣ فيفري سنة ١٩٤٨.

البصائر

ع ٢١، ٢ فيفري سنة ١٩٤٨.

الشكل 4 يمثّل جريدة البصائر العدد 24 ، 22فيفري 1947 في مقال "الإنكليز حلقة الشر المفرغة" و العدد 21 ، 2 فيفري 1947 في مقال " العودة إلى فلسطين"

المجلس الإداري لجمعية العلماء المسلمين الجزائريين.

الشكل 5 يمثّل جلسة لأعضاء المجلس الإداري لجمعيّة العلماء المسلمين الجزائريين

رئيس لجنة الاحتفال
في موقف من مواقفه في حفلة التكريم بكلية الشعب

الشكل 6 يمثل العلّامة محمّد البشير الإبراهيمي في حفل التّكريم بكليّة الشّعب.

جدول المختصرات :

قـــائمة المختصرات الـــــواردة في الدراسـة	
الرمز	المعنى
تر	ترجمة
ج	جزء
دب	دون بلد
دت	دون تاريخ
دط	دون طبعة
ص	صفحة
ط	طبعة
م	ميلادي
هـ	هجري
تح	تحقيق
ع	العدد
سل	سلسلة
ج م	جمع وتقديم

قائمة المصادر و المراجع

- **القرآن الكريم برواية ورش عن نافع .**
- **الحديث النبوي الشريف .**

1- الكتب :

أ- المصادر :

1 - **آل خليفة ، محمّد العيد** : - ديوان محمّد العيد آل خليفة - الشركة الوطنيّة للنّشر و التوزيع - الجزائر ط2 - 1979.

2- **الإبراهيمي ، محمد البشير** : آثار الإمام البشير الإبراهيمي – جمع و تقديم أحمد طالب الإبراهيمي - دار الغرب الإسلامي- بيروت- ط1 – 1997 م –ج1 [1929م -1940 م] ج 02 [1940 م- 1950 م] ج03 - ج 04 [1952 م – 1954 م] ج 05 [1954 م – 1964 م] .

3- **الإبراهيمي ، محمد البشير** : أنا"-مجلّة مجمّع اللّغة العربيّة - القاهرة - 1966 - م21 .

4 - **الإبراهيمي ،محمد البشير** : -محاضرة-مشكلة العروبة في الجزائر- ندوة الأصفياء - دار مصر للطّباعة مصر - 1955.

5- **الإبراهيمي، محمّد البشير** : أنا - مجلّة الثّقافة - عدد 87 - شعبان ، رمضان - 1405 هـ - مايو ، يونيو - 1985 م - الجزائر - وزارة الثّقافة والسّياحة .

6- **الإبراهيمي، محمد البشير**: التّراث الشّعبي و الشعر الملحون - تحقيق عثمان سعدي- دار الأمّة الجزائر- ط 1- 2010 .

7- **العقبي ، الطيب** : كارثة فلسطين تثير العالم الإسلامي والعربي في وجه الإنجليز - جريدة البصائر الجزائر - العدد 78 - السّنة الثانية - 13 أوت 1937

8- **الميلي ، محمد** : ابن باديس وعروبة الجزائر- منتدى دور الأزبكية – الجزائر – دط– 2007

9- **بن جعفر ، قدامة** : نقد الشّعر- مطبعة الجوائب – قسطنطينية – ط1 – 1302 .

10- **شوقي، أحمد**: الدّيوان- دار العودة – بيروت- ج2 .

11- **طاليس ، أرسطو** : الخطابة- الترجمة العربيّة القديمة- تحقيق عبد الرّحمن بدوي- دار القلم – بيروت – دط –دت .

12- **مفدي ، زكريّا** : اللّهب المقدّس – دار موفم – الجزائر – ط3 – 2000 .

ب – المراجع :

1- **العيسى ، فصل سالم** : النزعة الإنسانية في شعر الرّابطة العلميّة- دار البارود في النشر والتوزيع الأردن – ط عربية .

2 – **باعزيز ، بن عمر** : من ذكرياتي عن الإمامين الرّئيسين عبد الحميد بن باديس ومحمد البشير الإبراهيمي – منشورات الحبر – الجزائر – ط2 – 2007.

3- **بومنجل ، عبد الملك** : النّثر الفنّي عند البشير الإبراهيمي – بيت الحكمة – الجزائر – ط1 – جوان 2009.

4- **أبو جزر ، أحمد شفيق أحمد** : العلاقات الجزائريّة الفلسطينيّة في ظلّ الاحتلال الفرنسي (مواقف وأسرار) – دار هومة – الجزائر – دط – 2014 .

5- **الحوفي، أحمد محمد** : فنّ الخطابة – نهضة مصر للطباعة والنشر والتّوزيع – مصر- دط- 1937.

6- **الرفاعي ،أحمد شرفي** : الشعر الوطني الجزائري من 1925-1954- دار الهدى - الجزائر - د.ط 2010 .

7- **الركيبي ، عبدالله** : تطوّر النّثر الجزائري الحديث- دار الكتاب العربي – الجزائر- دط – دت .

8- **الصّالح الصدّيق** ، محمد: شخصيات فكريّة وأدبيّة –هذه مواقفنا من ثورة التّحرير الجزائريّة – شركة دار الأمّة - الجزائر - 2002 .

9- **الصّيد، سليمان** : صالح بن مهنا القسنطيني- حياته ، تراثه - دار البعث- الجزائر - ط1- 1983 .

10- **العسلي ، بسّام** : عبد الحميد بن باديس و بناء قاعدة الثورة الجزائرية - دار النفائس- بيروت ط2 -1986 .

11- **العيد ، رجاء** : المصطلح في التراث النّقدي- منشاة التّعارف - الإسكندريّة - د ط - 2000 .

12- **المقدسي ، أنيس** - الفنون الأدبيّة وأعلامها في النّهضة العربيّة الحديثة - دار الطّبع للملايين -بيروت - ط 6 - يونيو 2000 م .

13- **الونّاسي ، شعبان** : تطوّر الشّعر الجزائري منذ سنة 1945 إلى سنة 1980 - ديوان المطبوعات الجامعيّة – الجزائر .

14- **أمين ، أحمد** - النّقد الأدبي- مكتبة النّهضة المصريّة - القاهرة - ط3 – 1952.

15- **بن ابراهيم العقون ،عبد الرحمن**: الكفاح القومي السيّاسي من خلال مذكرات معاصر- 1929-1936 م - المؤسسة الوطنيّة للكتاب- الجزائر- د ط- 1984.

16- **بن النعمان ، أحمد**: اللغة العربية أسئلة التطور الذاتي و المستقبل- مركز دراسات الوحدة العربية- لبنان- 2005 .

17- **بو عزيز ، يحيى** : أحلام الفكر و الثقافة في الجزائر المحروسة – دار البصائر – الجزائر – 2009 ج1.

18- **تركي عمامرة** ، رابح: الشّيخ بن باديس رائد الإصلاح الاسلامي والتّربية في الجزائر –وزارة المجاهدين – الجزائر – ط 05 – 2001.

19- **حجازي ، سمير سعد** : النقد الأدبي المعاصر قضاياه و اتجاهاته – دار الآفاق العربية – القاهرة ط1 – 2001 .

20- **خرفي ، صالح**: الأدب الجزائري الحديث – الشركة الوطنية للنشر و التوزيع – الجزائر – ط1 1984.

21- **سعد الله ، أبو القاسم** : تاريخ الجزائر الثّقافي(1830-1954) – دار الغرب الإسلامي – بيروت – ط2 – م3 –ج5.

22- **سعد الله ،أبو القاسم** : الحركة الوطنية الجزائرية- دار الغرب الإسلامي – بيروت – ط 4 – 1992 – ج 3 .

23- **سعد الله، أبو القاسم** : محمّد العيد آل خليفة – دار الشروق – بيروت –ط1 – 1883.

24- **سلمان، نور** : الأدب الجزائري في رحاب الرفض والتحرير – دار العلم للملايين – بيروت – 2007 .

25- **سلوادي ، حسن عبد الرحمان** : عبدا لحميد بن باديس مفسرا – المؤسسة الوطنية للكتاب – الجزائر – ط1- 1984 .

26- **شلبي ، عبد الجليل عبده** : الخطابة وإعداد الخطيب - دار الشّروق - القاهرة - ط1 - 1401 - 1981 .

27 - **عبّاس ، إحسان** : تاريخ النّقد الأدبي عند العرب - دار الثّقافة - بيروت - ط4 -1983.

28- **عباس ، محمد** : البشير الإبراهيمي أديبا- ديوان المطبوعات الجامعية –وهران-1987.

29- **غنيمي هلال، محمد** : الأدب المقارن - دار العود - بيروت - دط - 1983 .

30- **لونيسي ، رابح و آخرون** : تاريخ الجزائر المعاصر- دار المعرفة - الجزائر - ج2 .

31- **محساس ، أحمد** : الحركة الوطنية الثورية في الجزائر من الحرب العالمية الأولى إلى الثورة المسلّحة – ترجمة الحاج مسعود - منشورات الذكرى الأربعين للإستقلال - الجزائر - دط -دت .

32- **محمد ،حسين علي** : التّحرير الأدبي – دراسات نظريّة ونماذج تطبيقيّة- مكتبة العبيكان – الرّياض- ط7 - 1441هـ-2011م.

33- **مرتاض ، عبد الملك** : في نظرية النّقد- دار هموة للطّباعة والنّشر - الجزائر - 2002 .

34 – **مرتاض ، عبد الملك** : فنون النّثر الأدبي في الجزائر (1937-1954) - ديوان المطبوعات الجامعيّة - الجزائر - 1983 .

35- **مرتاض ، عبدالمالك** : نهضة الأدب العربي المعاصر في الجزائر (1925-1954) - الشركة الوطنية للنشر و التوزيع - الجزائر - ط2 – 1983.

36– **مطبقاني ، مازن صالح حامد**: جمعية العلماء المسلمين الجزائريين ودورها في الحركة الوطنية(1931-1939) - مؤسسة عالم الأفكار - الجزائر – 2011.

37- **نجم، محمد يوسف**: فن المقالة- دار الثقافة - بيروت - ط4 - 1966.

38 -**يحياوي ، محمد الطاهر** : أحاديث في الأدب و النّقد – شركة الشهاب – الجزائر- 1990

2- المعاجم و القواميس :

1. **الرّازي،محمد بن أبي بكر** : مختار الصّحاح- دائرة المعاجم - لبنان - 1907 .
2. **آبادي ، الفيروز** : قاموس المحيط- دار الحديث- القاهرة - ط4 - 2008 .
3. **ابن منظور، جمال الدّين محمد بن مكرم** : لسان العرب - دار إحياء التراث العربي- بيروت - ط1 - 1999 - ج7 .
4. **الزبيدي ، محمد مرتضى بن محمد الحسيني** : تاج العروس من جواهر القاموس- دار الكتب العلمية بيروت- 1984-ج11 .
5. **الزّيات ، ابراهيم مصطفى أحمد** : معجم الوسيط - دار ومكتبة الشروق الدوليّة - القاهرة 2011 . .
6. **بن فارس بن زكرياء ، أبو فارس أحمد** : معجم مقاييس اللّغة- ت ح.عبدالسلام هارون- دار الفكر - بيروت -1979 - ج5
7. **معلوف ، لويس** : المنجّد في اللّغة- دار الناشر المطبعة الكاثوليكية - م1 - ط19 - بيروت -1908 .

3- المقالات :

1- **الكتّاني ، محمد إبراهيمي** : الإمام محمد البشير الإبراهيمي - مجلّة الوعي - الجزائر - دار الوعي للنّشر والتّوزيع - العدد الثّاني – 2010 .

2- **بو عبد الله ، محمد** : النزعة النّقدية عند الإبراهيمي- جامعة وستمنستر ،- لندن - الملتقى المغاربي الأوّل في موضوع الإبراهيمي و الحداثة .

3- **شيبان ، عبد الرحمن** : الإمام الشّيخ محمد البشير الإبراهيمي واللّغة العربيّة - مجلّة الثقافة -الجزائر عدد 87 ماي، جوان – 1985 .

4- **طالبي ، عمار** : النّزعة الإنشانيّة والجماليّة عند عبد الحميد بن باديس- مجلّة الصالة - سل 02 عدد 07 - ربيع الأوّل 1392هـ/ماي 1972م .

5- **فرحات ،عبد الوهّاب** : الإبراهيمي ومنهجه في الّفكير والإصلاح - مجلّة المعيار -قسنطينة جامعة الأمير عبد القادر - م 12 - عدد 24.

6- **فلوسي، مسعود** : البعد الاجتماعي والسيّاسي في التجربة الإصلاحيّة لجمعية العلماء المسلمين الجزائريّين - المكتبة الشاملة- م2 ع 11 - جامعة باتنة- 18 ماي 2014 .

7- **قادوم ، حميدة** : إسهامات الشّاعر محمد العيد آل خليفة في تحقيق البنية الاصلاحيّة - مجلّة اللّغة العربيّة - الجزائر – العدد السّابع والثلاثون – 2017 .

8- **قوال ، أم الخير** : النّزعة النّقدية عند البشير الإبراهيمي - إشراف أحمد حاجّي - مخبر اللّسانيّات وتحليل الخطاب - جامعة قاصدي مرباح - ورقلة - أعمال الملتقى الوطني لطلبة دكتوراه التّكوين في الطّور الثّالث .

9- **لطرش ،عبد الله** : الاتجاه الإصلاحي في الشعر الجزائري الحديث - مجلّة اللّغة العربيّة- الجزائر- العدد السّابع والثلاثون- 2017 .

10- **محمد ، رابح** : صحافة جمعيّة العلماء المسلمين الجزائريّين ودورها في الحركة الوطنيّة - مجلّة القرطاس- تلمسان - عدد 6 - جوان 2017 .

11- **مهري ، عبد الحميد** : التّعريب شرط للثورة الاقتصادية والثقافية والاجتماعيّة – مجلّة الأصالة الجزائر – عدد 5 – 1971

12- **هيمة، عبد الحميد** : الآراء النّقديّة للشّيخ البشير الإبراهيمي في كتابه التّراث الشّعبي والشّعر الملحون في الجزائر – مجلّة الأثر – العدد 17 – جانفي 2013 .

13- **ونوغي ، إسماعيل** : الأبعاد الاصلاحيّة في أدب محمد البشير الابراهيمي المقال الاجتماعي أنموذجا- مجلّة اللآداب واللّغات – جامعة المسيلة – ع 2 – ديسمبر 2015 .

4- الجرائد :

1- جريدة البصائر- السلسلة الأولى – عدد 12 – 1938 .

2- جريدة البصائر- السلسلة الأولى – عدد 160 -07 أفريل 1939 م .

5- المجلّات :

1- الشّهاب – مجلّة- المجلّد الرّابع عشر -الجزء الرّابع والخامس -قسنطينة – المطبعة الجزائرية الإسلامية – ربيع الثّاني 1357 هـ – جوان 1938 م.

2- الشّهاب –مجلّة- المجلّد التّاسع – السّنة التاسعة – 1936، 1937.

3- الشهاب-مجلّة – المجلد الثالث عشر – الجزء الثامن – قسنطينة -1343 هـ .

4- الشّهاب –مجلة- المجلد الثاني عشر – الجزء الثامن – قسنطينة – رجب 1355هـ – سبتمبر 1936م .

6– الرّسائل الجامعيّة:

1- **بن يحي ، أبو القاسم** : الفكر الإصلاحي عند محمّد البشير الإبراهيمي و أبعاده الحضارية- مذكّرة ماستر -كلية الآداب و اللّغات - جامعة أبو بكر بلقايد – تلمسان- 1432 هـ-1433 هـ - 2011 م – 2012 م .

2- **ديدان محمد** : الخطاب النقدي الثقافي لجمعيّة العلماء المسلمين الجزائريّين- رسالة ماجستير- جامعة مولود معمري -تيزي وزو كلية الآداب واللّغات - 2015 .

3- **صواغير، فاطمة:** فن الترسّل في أدب جمعيّة العلماء المسلمين الجزائريّين - أطروحة دكتوراه - كليّة الآداب واللّغات -جامعة تلمسان - 2015-2016 .

4- **قرل ، عبد الملك** : أثر القرآن في الفكر النّقدي عند البشير الإبراهيمي - أطروحة دكتوراه- شعبة القرآن والدراسات الأدبيّة -كلية الآداب واللّغات - جامعة تلمسان -2014 ، 2015 .

فهرس الموضوعات

كلمة شكر.....

إهداء.....

مقدمة.....أ

مدخل: جمعية العلماء وسط الحياة السّياسية والاجتماعية و الفكرية.....**1**

الفصل الأوّل: ضبط المفاهيم **9**

أوّلا : تعريف النّزعة لغة و اصطلاحا :.....10

-ثانيا : تعريف النقديّة لغة واصطلاحا :.....13

ثالثا : أدب جمعية العلماء المسلمين :.....16

آ- فنّ الخطابة : *23*

ب - فنّ المقالة : *28*

ج- فنّ الشّعر : *32*

الفصل الثاني: مقاصد النّزعة النّقدية في أدب البشير الإبراهيمي **39.**

أوّلا : أدب البشير الإبراهيمي.....40

أ- المقالة : *41*

ب- الخطابة : 48

ج-فنّ المقامة : *56*

د- فنّ الشّعر : *59*

ثانيا : المسار النّقدي لدى البشير الإبراهيمي وتوجّهاته 62

ثالثا : دراسة نموذج (قراءته االنّقدية للشّاعر أحمد شوقي) 73

خـــــاتـمـــــة **74**

ملاحق **74**

قائمة المصادر و المراجع **74**

الفهرس العام.....**103**

ملخّص :

هذا البحث الموسوم بعنوان " النزعة النقدية في كتابات جمعية العلماء ، البشير الإبراهيمي أنموذجا " يروم الوقوف على المنجزات النقدية الّتي ساهم بتا البشير الإبراهيمي في رسم الخطوط العريضة للنّقد الأدبي من خلال تناوله بعض القضايا النقدية الّتي أعدّها توجيهات للأدباء وإرشادات لأعملهم الفنيّة ، أبانت عن مدى خوض الإبراهيمي في هذه التجربة ، ورسم الأطر الواعية للنّقد وتحديد اللّبنات الأولى لهذا النّقد التّمهيدي ، حيث يضع الأفكار والمانهج تحت النّقد فيطرح التّساءلات والإشكالات ويحاول الإجابة عليها بالإعتماد على التراث والمناهج العلميّة التّابعة له .

الكلمات المفتاحيّة : النّزعة النقدية – جمعية العلماء – البشير الإبراهيمي – النّقد .

Résumé :

Cet article intitulé la tendance critique dans les écritures de l'association des savants ،Al- Bachir AL-Ibrahimi ، vise à fournir un exemple des realisations critique qu 'Al Bachir Al Ibrahimi a contribute à dessiner les contours de la critique littéraire en abordant certaines des questions critiques qu' il a prepares comme directive pour leur oeuvres artistique . elle a montré l'ampleur du fait qu' Al ibrahimi se lance dans cette experience et dessine les cadres concients de la critique et définit les premiers principles de cette critique introductive ،ou il met des iddée et des approches sous la critique pose des questions et des problemes et essaie d'y répondre en s' appuyant sur ses études et méthodes scientufiques.

Mots clés :tendance critique – L'Association des savants – Al Bachir Al Ibrahimi – critique .

Abstract :

This article entitled the critical tendency in the writings of the association of scholars ،Al-Bachir AL-Ibrahimi ،aims to provide an example of the critical achievements that Al Bachir Al Ibrahimi has contributed to drawing the contours of literary criticism by addressing certain critical questions that he prepared as a guideline for their artistic works. it showed the magnitude of the fact that Al ibrahimi launches into this experiment and draws the conscious frameworks of the critique and defines the first principles of this introductory critique - where he puts ideas and approaches under the critique asks questions and problems and tries to answer them by relying on its scientific studies and methods.

Keywords: critical tendency - The Association of Scholars - Al Bachir Al Ibrahimi - criticism.